القصيدة السّادسة(٢٦)بيتاً

محمّدٌ أَجَلُّ هادي (من الوافر)

١- قــد انْحَــطَّ الوُجــودُ إلى فَســادِ فكــان بِحاجَــةٍ لِأَجَــلَّ هــادي

٢- محمّــدٌ الرّســولُ قَــدِ اصْــطفاهُ إلــهُ العَــرْشِ مِــنْ بَــيْنِ العِبــاد

٣- وأَكْرَمَــهُ بآيٍ بَيِّنــاتٍ ووَفَّقَــهُ إلى سُــبُلِ الرَّشــاد

٤- وأَرْسَــلَهُ إلى الثَّقَلَــيْنِ طُــرّاً كمــا كــان الخَطِيــبَ بِكُــلَّ نادي[١]

٥- وقــد صَــرَفَ الإلــهُ إليــه رهْطــاً مــن الجِــنِّ الأَلِبّــاءِ الشَّــداد[٢]

٦- بِــهِ قــد آمنــوا لمّــا رأَوْه يَــؤُمُّ صِــحابَهُ فَجْــراً بِــوَادي[٣]

٧- لقــد مَلَكَــتْ قلــوبَهُمُ عِظــاتٌ كمــا قــادتْهُمُ نَحْــوَ السَّــداد

٨- إلى أَهْلِــيهِمُ عــادُوا فكــانُوا طلائِــعَ مُنْــذِرِي تلــك البَــوادي

٩- قــديماً آمنَــتْ جِــنٌّ بطَــهَ كــذا مَــنْ أَحْسَــنُوا نُطْقــاً بِضــاد[٤]

١٠- لقــد كــان الجميــعُ دَعــاةَ خَــيْرٍ لِنَشْــرِ الــدّينِ في كُــلَّ الــبِلاد

١١- وقــد بَلَــغَ الــدُّعاةُ بِــدينِ طَــهَ إلى كــلَّ التَّهــائِمِ والنَّجــاد[٥]

١٢- ســواءٌ أن تقــول : أتــى نهــارٌ ولَيْــلٌ،أو أتــى دِيــنُ الجهــاد

١٣- بِــذاكَ تَنَبَّــأَ المختــارُ طَــهَ وكــان الحَــقُّ مَنْطِــقَ كــلَّ هــادي

١٤- لَقَــدْ دُكَّــتْ حُصــونُ الظُّلــم دَكّــا وكــان الظُّلْــمُ دَوْمــاً شَــرَّ زاد

١٥- وهــل عَــرَفَ الأنامُ دُعــاةَ عَــدْلٍ كَجَــيْشِ محمّــدٍ يَــوْمَ الجِــلاد[٦]

---

(١) الثّقلان : الجنّ والإنس . طُرّا : جميعاً .

(٢) الرَّهط : النفر بالتحريك ، ما بين الثلاثة إلى العشرة .

(٣) والوادي هو وادي نخلة اليمانيّة بين مكّة المكرّمة والطّائف من جهة طريق السَّيْل .

(٤) الّذين أحسنوا النّطق بالضّاد أي اللّغة العربيّة . والمرد المهاجرون والأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

(٥) التّهائم جمع تِهامة الأراضي السّاحليّة المنخفضة ، والنَّجاد بالكسر جمع النّجد وهو ما ارتفع من الأرض .

(٦) يوم الجلاد بكسر الجيم : يوم المجالدة والمضاربة بالسّيوف .

١٦- وهـل عَـرَفَ الأنامُ دُعـاةَ صَـفْحٍ كَجَـيْشِ محمّـدٍ يُـوْمَ التّنـادي[١]

١٧- لقـد تَبِـعَ البَنـونَ بُنَـاةَ مَجْـدٍ هُـداةً عـامِلِينَ بِآيِ صـاد[٢]

١٨- وقـد شَـهِدَتْ بِعَـدْلِهِمُ دِمَشْـقُ كـذا شَـهِدَتْ سَمَرْقَنْـدُ الحصَـاد[٣]

١٩- سَمِعْـتَ عـن الـدَّراهِمِ قـد أُعِيـدَتْ لِأَهْـلِ الجِزْيَـةِ القَـوْمِ البِعـاد

٢٠- لأنّ حُمـاتَهُمْ لم يَمْنَعُـوهُمْ وحـقُّ اللهِ أَوْلَى بالسَّـداد[٤]

٢١- كـذاك سَمِعْـتَ عـن عَـدْلٍ لِقـاضٍ بِأَمْـرِ خَلِيفَـةٍ عَـدْلٍ جَـواد

٢٢- علـى أَتْبـاعِ أَحْمَـدَ أن يَعُـودوا إلى مـا خَلْـفَ مَيْـدانِ الجِيـاد

٢٣- هُـمُ قـد خـالَفُوا شَـرْطاً لِطـهَ ولـيس شُـروطُهُ حَقْـلَ اجْتِهـاد[٥]

٢٤- هَنِيئـاً للّـذين بَنَـوْا صُـروحاً مِـنَ الأَخْـلاقِ عالِيَـةَ العِمـاد[٦]

٢٥- ثِمـارُ صِـنِيعِهِمْ حُـبٌّ تَسـامَى وأَلْقَـى الـدَّفْءَ في عُمْـقِ الفُـؤاد

٢٦- خليـقٌ بالأماجِـدِ أن يَعُبُّـوا مـن النَّبْـعِ الغَزِيـر بِـلا نَفـاد[٧]

تمّت

مساء يوم الاثنين ١٤٢٤/٩/٢٢ هـ

مكّة المكرّمة

---

(١) يوم التنادي : يوم ينادي المقاتلون بعضهم بعضاً .

(٢) سورة ص أكثر سور القرآن الكريم حديثاً في شئون القضاء والحكم بالحقّ . الآيات الكريمات ٢١-٢٦ .

(٣) أجرى عمر رضي الله تعالى عنه فتح دمشق كلّها صلحاً رغم أنّ خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فتح جهتها الشّرقيّة عَنْوَةً أي قَسْرا . انظر معجم البلدان : " دمشق " والكامل في التّاريخ لابن الأثير ٤٢٩/٢ ذكر فتح دمشق . وسَمَرْقند مدينةٌ في شرق الدّولة الإسلامية آنذاك توصف بجنّة الدّنيا إذ يكاد يوجد في كلّ دارٍ بها بستان . معجم البلدان : " سمرقند " .

(٤) السَّداد : الوفاء والالتزام .

(٥) انظر الكامل في التّاريخ ٦٠/٥ سيرة عمر بن عبد العزيز . وإنصافه أهل سمرقند من القائد قتيبة بن مسلم .

(٦) العِماد بكسر العين : كلّ ماَ رَفَعَ شيئاً وحَمَله .

(٧) أن يَعُبُّوا : أن يشربوا الماء بلا تنفُّسٍ ومصّ .

" الرّسولُ محمّدٌ صلى الله عليه وسلّم النّبيُّ الأُمّيُّ رحمةٌ للعالمين "

الله تعالى ذو الفضل العظيم هو الّذي بعث في العرب الأمّيّين ، مادّةِ الإسلام الأولى ، رسولاً منهم . جاء في سورة الجمعة [١] قولُ الحقَّ جلّ وعلا :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، هو جَلَّ وعلا الّذي بَعَثَ في العرب الأمّيّين الّذين ليس لهم كتابٌ سماويٌّ يقرءونه[٢] وأرسل في مشركي العرب[٣] الأمّيّين الّذين لا يكتبون ولا يقرأون من كتاب[٤] رسولاً منهم هو محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم الّذي كان أمّيّاً وظهر من العرب[٥] يتلو على هؤلاء الأمّيّين ويقرأ عليهم آيات الله التي أنزلها عليه[٦] ويزكّيهم ويطهّرهم من دنس الشّرك[٧] ويعلّمهم كتاب الله وما فيه من أمر الله ونهيه وشرائع دينه[٨] والسّنّة النّبويّة المطهّرة[٩] وإنّهم كانوا[١٠] من قبل أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم في جَوْرٍ عن

---

(١) الآيات ٢-٤ .

(٢) انظر تفسير الطّبري ٦١/٢٨ .

(٣) انظر تفسير الطّبري ١٤٣/٣ ، و٦١/٢٨ .

(٤) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " أم " ٢٩/١ والجلالين .

(٥) تفسير الطّبري ٦١/٢٨ .

(٦) تفسير الطّبري ٦١/٢٨ والجلالين .

(٧) تفسير الطبري ٦٢/٢٨ والجلالين .

(٨) تفسير الطّبري ٦٢/٢٨ .

(٩) تفسير الطّبري ٦٢/٢٨ والكشاف ٢٢٩/٣ .

(١٠) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣٦٠/١٢ والجلالين .

قصد السَّبيل وأخذٍ على غير هُدَى ، يبين لمن تأمَّله أنّه ضلالٌ وجَوْرُ عن الحقّ وطريق الرّشد .

الله تعالى هو الّذي بعث في الأمّيّين رسولاً منهم وفي آخرين منهم لمّا يلحقوا بهم[١] ولم يجيئوا بعد وسيجيئون[٢] من العرب والعجم[٣] إلى يوم القيامة[٤] والله تعالى هو العزيز في ملكه الحكيم في صنعه وتدبيره وتقديره وفي كلّ شيء .

ذلك البعث في الأمّيّين وفي غيرهم وتطهيرهم من دنس الشَّرْك وإنزال الكتاب والحكمة فضل الله تفضّل به على هؤلاء دون غيرهم[٥] والله تعالى يؤتي فضله من يشاء ويختصّ برحمته من يريد ، لأنّه عزّ وجل علم من هُوَ لَهُ أهلٌ فأودعه إيّاه وجعله عنده[٦] والله سبحانه وتعالى ذو الفضل العظيم ، والخير العميم ، ولا معقّب لحكمه ، ولا رادّ لقضائه جلّ وعلا .

وفي المعنى ذاتِه تقريباً جاء في سورة آل عمران[٧] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٦٤) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، لقد منّ الله تعالى على المؤمنين وتفضّل وتطوّل[٨] إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ومن بني جنسهم يقرأ عليهم آيات الكتاب العزيز الّذي أوحاه الله

---

(١) تفسير الطّبري ٦٢/٢٨ والجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣٦٠/١٢ .

(٢) تفسير الطّبري ٦٣/٢٨ .

(٣)تفسير الطّبري ٦٣/٢٨

(٤)تفسير الطّبري ٦٣/٢٨

(٥)تفسير الطّبري ٦٣/٢٨

(٦)تفسير الطّبري ٦٣/٢٨

(٧) الآية ١٦٤ .

(٨) تفسير الطّبري ١٠٧/٤ .

تعالى إليه ، ويطهّرهم من الذّنوب[1] ويعلّمهم معاني الكتاب العزيز ، والسّنّة النّبويّة المطهّرة ، الّتي سنّها الله جلّ ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [2] وإنّهم كانوا من قبل لفي ضلالٍ بيّن ، وفي جَهالةٍ جهلاء ، وفي حَيْرةٍ عن الهدى عمياء ، لا يعرفون حقّاً ، ولا يبطلون باطلاً [3] .

والله سبحانه وتعالى أرسل محمّداً صلّى الله عليه وسلّم للنّاس كافّةً بشيراً ونذيراً . جاء في سورة سبأ[4] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٢٨) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، وما أرسلناك يا محمّد إلاّ للنّاس أجمعين ، العرب منهم والعجم ، والأحمر والأسود[5] وكافّة حال من النّاس منصوبة [6] قدّم للاهتمام [7] مبشرّاً المؤمنين بالنّعيم المقيم في جنّات النّعيم ، ومنذراً الكافرين بالعذاب الأليم في نار الجحيم ، ولكنّ أكثر النّاس ، وفي مقدّمتهم كفّار مكّة ، لا يعلمون هذه الحقيقة .

عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : فُضِّلْتُ على الأنبياء بستّ: أُعطيت جوامع الكلم[8] ونُصِرْت بالرُّعْب . وأُحِلَّتْ لي الغنائم . وجُعِلَتْ لي الأرض طهوراً ومسجداً[9] وأرسلت إلى الخلق كافّة . وخُتِمَ بي النّبيّون [10] .

والله سبحانه وتعالى أرسل محمّداً صّلى الله عليه وسلّم رحمةً للعالمين . جاء في سورة

---

(١) تفسير الطّبري ١٠٧/٤ .

(٢) تفسير الطّبري ١٠٨/٤ .

(٣) تفسير الطبري ١٠٨/٤ .

(٤)الآية ٢٨ .

(٥) تفسير الطّبري ٦٦/٢٢ .

(٦) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣١١/١٠ .

(٧) الجلالين .

(٨) جوامع الكلم : الكلام القليل ذو المعنى الكثير .

(٩) المعنى : وجعلت لي تُرْبةُ الأرض طهوراً إذا لم نجد الماء والأرضُ كلُّها مسجدا .

(١٠) صحيح مسلم ٣٧١/١ حديث رقم ٥٢٣ وانظر فتح الباري ٤٣٥/١ ، حديث رقم ٣٣٥ .

الأنبياء [1] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾

والمعنى والله تعالى أعلم ، إنّ الله سبحانه وتعالى ما أرسل محمّداً صلّى الله عليه وسلّم إلاّ رحمةً للعالمين ، المؤمنين وسواهم .

أمّا المؤمنون فبفضلٍ من الله تعالى ونعمةٍ أخرجهم الله تعالى من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم . وأمّا غير المؤمنين فبفضل من الله تعالى ونعمة ، يمكن أن يخرجوا بهذا الرّسول الكريم الّذي أنزل الله تعالى عليه النّور المبين ، من ظلمات الكفر والجهل ، إلى نور الإيمان والعلم كذلك[2] .

وروى الإمام مسلم في صحيحه[3] : " عن عياض بن حِمارٍ المجاشِعِيّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال ذات يوم في خُطْبَته : ألا إنّ رَبّي أمرني أنّ أعلّمكم ما جهلتم ممّا علّمني ، يومي هذا . كلّ مالٍ نَحَلْتُهُ عبداً حَلال[4] وإنّي خَلَقْتُ عبادي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ[5] وإنّهم أتتهم الشّياطين فاجتالتهم[6] عن دينهم . وحَرَّمَتْ عليهم ما أحْلَلْتُ لهم ، وأَمَرَتْهُمْ أن يشركوا بي ما لم أُنْزِلْ به سلطاناً . وإنّ الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم[7] عَرَبَهم وعَجَمَهُمْ ، إلاّ بقايا مِنْ أهل الكتاب[8] وقال : إنّما بَعَثْتُك لأبتليك وأبتلي بك[9] وأنزلت

---

(١) الآية رقم ١٠٧ .

(٢) التّفسير البسيط ١٢٨/١٧ .

(٣) صحيح مسلم ٢١٩٧/٤ حديث رقم ٢٨٦٥ .

(٤) نَحَلْتُه : أَعْطَيْتُه . أي كلّ مالٍ أعطيته عبداً من عبادي فهو له حلال ، والمراد إنكار ما حرّموا على أنفسهم من السّائبة والوصيلة والبحيرة والحامي وغير ذلك ، وأنّها لم تَصِرْ حراماً بتحريمهم .

(٥) حنفاء كلّهم : أي مسلمين .

(٦) فاجتالتهم : أي استخفّوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عمّا كانوا عليه ، وجالوا معهم في الباطل .

(٧) فمقتهم : المقت أشدّ البغض ، والمراد بهذا المقت والنظر ما قبل بعثة رسول الله صل الله عليه وسلم .

(٨) المراد بهم الباقون على التمسك بدينهم الحقّ من غير تبديل .

(٩) أبتليك : أمتحنك بالتكاليف وأبتلي بك : من أرسلتك إليهم .

عليك كتاباً لا يَغْسِلُهُ الماء[1] تقرؤه نائماً ويقْظانَ ... " .

ويُفْهَم من الحديث الشّريف أنّ الشَّرك بالله تعالى قد انتشر في كلّ الآفاق ، ولم يبق قبل بعثة محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم على المحجّة البيضاء والدّين الصّحيح إلاّ بقايا من أهل الكتاب ، من اليهود والنّصارى . وإنّ المتأمّل لخريطة العالم في القرن السّادس الميلاديّ ، وهو القرن الذي وُلد فيه المصطفى صلى الله عليه وسلّم ، يدرك هذه الحقيقة من النّظرة الأولى . إنّ الشّرك قد تغلغل في الدَّولة الرُّومانيّة بشطريها الشّرقيّ والغربيّ ، وفي الدّولة السّاسانية في إيران ، وفي الهند الّتي كان فيها مئات الملايين من الأصنام ، والشّيء ذاته يقال عن المناطق الّتي تَدِينُ هنالك وراء ذلك بالبوذيّة وغيرها .

وكانت الجزيرة العربيّة قد تغلغل الشَّرك فيها هي الأخرى . وقد احتفظ العرب ببعض البقايا من دين إبراهيم عليه السّلام . وأَوْضَحُ هذه البقايا الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام . وقد أدخل العرب في الحجّ ما ليس منه . وكانت الأصنام تحيط بالكعبة المشّرفة الّتي بُنَيتْ على التّوحيد . بل إنّ بعض الأصنام كانت بداخل الكعبة المشرّفة .

هذا الواقع المرير الّذي يسيطر عليه الشّرك هو الّذي كانت تعيشه الأرض آنذاك باستثناء القليل من أهل الكتاب الّذين حافظوا على عقيدة التّوحيد . وهؤلاء كانوا مقهورين من أصحاب المذاهب المنحرفة .وقد بعث الله تعالى حبيبه صلّى الله عليه وسلّم بعقيدة التّوحيد النّقيّة الصافية في تلك الأجواء الموبوءة بالشّرك .

---

(١) لا يغسله الماء : محفوظ في الصّدور لا يتطرق إليه الذَّهاب .

﴿ نۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ (١) مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ (٤) فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ (٥) بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ (٧) ﴾

ن ، أحد حروف الهجاء ، الله أعلم بمراده به[١] ومن العلماء من ذهب إلى أنّ الحروف المقطعة في أوائل السّور امتدادٌ للتّحدّي بالقرآن الكريم . إنّ كلاً من كلمات القرآن الكريم وكلمات لسان العرب تتألّف من ذات الحروف، ولكنّ نظم القرآن الكريم فريدٌ في بابه . وسورة ن ، أو القلم ، آخر سور القرآن الكريم التّسع والعشرين الّتي تبدأ بالحروف المقطّعة [٢] والقَسَم بالقلم الّذي يُكْتبُ به[٣] وقيل القلم الّذي كُتِب به الكائنات في اللّوح المحفوظ [٤] ما أنت يا محمّد [٥] بسبب فضل الله تعالى ونعمته عليك بمجنون . مكذّباً بذلك مشركي قريش الّذين قالوا له إنّك مجنون[٦] وإنّ لك لأجراً غير منقوصٍ ولا مقطوع[٧] وإنّك يا محمّد لعلى خلق عظيم ، وأدبٍ عظيم ، وذلك أدب القرآن الّذي أدّبه الله به ، وهو الإسلام وشرائعه[٨] وحينما سئلت السّيّدة عائشة رضي الله تعالى عنها عن

(١) الجلالين .
(٢) انظر مثلاً تأملات في سورة البقرة ٢٢ و ١٩-٢٢ .
(٣) تفسير ابن كثير ٢١٢/٨ .
(٤) الجلالين وتفسير الطبري ١٢/٢٩ .
(٥) تفسير الطّبري ٢٩-١٢ .
(٦) تفسير الطّري ١٢/٢٩ .
(٧) تفسير الطّبري ١٢/٢٩ .
(٨) تفسير الطّبري ١٢/٢٩ .

خُلُق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالت : كان خُلُقه القرآن [1] فسترى يا محمّد ويرى مشركو قومك الّذين يَدْعُونك مجنوناً بسبب تلاوتك القرآن الكريم[2] بأيّكم الجنون ، أبِك الجنون أم بهم[3] إنّ ربّك يا محمّد هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهم المشركون ، وهو أعلم بالمهتدين ، وإمامهم محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم .

﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦) ﴾

فلا تطع يا محمّد المكذّبين من كفّار قومك ودّوا لو تلين لهم في مجال الدّين ، وتدارى ، وتلاين ، وتظهر لهم خلاف ما تضمر ، وهم في المقابل يعاملونك بالمثل ، وبذلك تكون العلاقة بينك وبينهم في مجال العقيدة قائمةً على الملاينة والمداهنة والغِشّ والخداع[4] ولا تطع يا محمّد كذلك كلّ شخصٍ كثير الحلف بالباطل[5] حقير[6] ذليل[7] مغتاب للنّاس يأكل لحومهم[8] ساعٍ بالكلام بين النّاس على وجه الإفساد بينهم[1] منّاعٍ للخير ، بخيل

(١) صحيح مسلم ٥١٣ حديث رقم ٧٤٦ .
(٢) تفسير الطّبري ١٣/٢٩ .
(٣) انظر تفسير الجلالين وتفسير الطّبري ١٣/٢٩ وتفسير ابن كثير ٢١٦/٨ .
(٤) انظر تفسير الطّبري ١٤/٢٩ ومفردات الرّاغب الأصفهاني : " دهن " ٢٣١/١ ، والمعجم الوسيط : "دهن"
(٥) الجلالين وتفسير الطّبري ١٥/٢٩ .
(٦) الجلالين .
(٧) انظر لسان العرب : " مهن " و " هون " .
(٨) الجلالين وتفسير الطّبري ١٥/٢٩ وانظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : " همز " ٧٠٩/٢ .

بالمال ، ضنين به على الحقوق[٢] كثير المنع له عن أصحابه المستحقّين له ، ظالم[٣] معتدٍ على حرمات الله تعالى ، كثير الإثم والفجور ، فظّ غليظ[٤] شديد الكفر والعناد . وهو مع كلّ ذلك زنيم[٥] مُلْصَقٌ بالقوم وليس منهم[٦] يُعْرَف بالشّرّ واللّؤم كما تُعْرَف الشّاة بزنمتها[٧] الّتي في عنقها وحلقها[٨] كذّب بآيات الله تعالى وبادل إحسان الله تعالى إليه بالكفران لأن كان[٩] ذا مالٍ وبنين ، بدلاً من أن يقوم بالشّكر لله تعالى على نعمه بتصديق الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وتوحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة.

إنّ هذا الكافر الكفور للنّعم إذا تُتْلى عليه آيات الله تعالى قال هي أساطير الأوّلين ، وأكاذيبهم[١٠] وأباطيلهم . إنّا سوف نلبسه ذلّ الأولى وخزي الآخرة ، بأن نضع أنفه في الرَّغام ، ووجهه في التّراب ، وسوف يكون الخزي والهوان سمةً له ، ودليلاً عليه ، وسنجعل على أنفه القبيح ، الّذي استعير له لفظ الخُرطوم دليلاً على قُبْح أنف الفيل[١١] قُبْحاً آخر لا يفارقه [١٢] وسمة ذلٍّ ، وعلامة هوان ، وبالتّالي يكون معروفاً بذلّه وهوانه فلا يخفى على أحد .

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾

---

(١) الجلالين وتفسير الطّبري ١٥/٢٩ .

(٢) تفسير الطّبري ١٥/٢٩ .

(٣) الجلالين .

(٤) تفسير ابن كثير ٢١٨/٨ .

(٥) تفسير الطّبري ١٧/٢٩ .

(٦) تفسير الطّبري ١٧/٢٩ .

(٧) لسان العرب : " زنم " .

(٨) تفسير ابن كثير ٢٢٠/٨ ، ولسان العرب : " زنم " .

(٩) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٧/١٣ والجلالين وانظر تفسير الطّبري ١٨/٢٩ .

(١٠) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : " سطر " ٣٠٦/١ .

(١١) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : " وسم " ٦٧٩/٢ ، و: "خرط " ١٩٣/١ ، والجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٧/١٣ .

(١٢) انظر تفسير الطّبري ١٨/٢٩ .

(١٧)وَلَا يَسْتَثْنُونَ(١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ(١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ(٢٠) فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ(٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ(٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ(٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ(٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ(٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ(٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ(٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ(٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ(٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ(٣١) عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ(٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(٣٣) ﴾

إنّا اختبرنا كفّار مكّة بالسّنين ونقص الثّمرات كما اختبرنا أصحاب البستان[١] والحديقة الغنّاء . إذ حلفوا[٢] وأقسموا بالله تعالى العظيم ، ليجمعنّ ثمرهم في الصّباح الباكر[٣] ولا يستثنون في يمينهم بمشيئة الله تعالى[٤] فلا يقولون : إن شاء الله تعالى [٥] فطاف على الحديقة ليلاً [٦] طارقٌ من أمر ربّك يا محمّد فاحترقت بالنّار بينما أصحابها نائمون[٧] فأصبحت الحديقة سوداء كسواد الليل[٨] الشّديد الظّلمة[١] فنادى بعضهم

(١) تفسير الطّبري ١٩/٢٩ .
(٢) تفسير الطّبري ١٩/٢٩ .
(٣) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : " صرم " ٣٦٨/٢ .
(٤) الجلالين .
(٥) تفسير الطّبري ١٩/٢٩ .
(٦) تفسير الطّبري ١٩/٢٩ .
(٧) انظر الجلالين وتفسير الطّبري ١٩/٢٩ و ٢٠ .
(٨) تفسير الطّبري ٢٠/٢٩ ومفردات الرّاغب الأصفهاني : " صرم " ٣٦٨/٢ .

بعضاً بعد أن أصبحوا[٢] أن انطلقوا مبكّرين صباحاً قبل طلوع الشّمس [٣] على زرعكم[٤] وغلّتكم[٥] إن كنتم حاصدي زرعكم[٦] وحريصين على جني ثمركم . فانطلقوا وهم يتسارّون [٧] ألاّ يدخلنّ حديقتكم اليوم عليكم مسكينٌ واحدٌ ليأخذ من ثمرها في هيئة الصدّقة فيقلّ الثمر وتنقص القيمة .

وغدوا على منع الفقراء والمساكين ، على حدّةٍ وغضبٍ[٨] حَقَّهم من الزّكاة قادرين حسب ظنّهم . فلمّا رأوا الحديقة الّتي غدت أثراً بعد عينٍ قالوا إنّا لضالّون طريق جنّتنا[٩] ودرب حديقتنا . فلّما تبيّنت لهم الحقيقة قالوا : إنّا لم نضلّ الطّريق بل نحن محرومون ثمرة الحديقة بمنعنا الفقراء منها[١٠] قال خيرهم وأعدلهم[١١] الّذي يبدو أنه كان له رأيٌ مخالفٌ ولكنّهم كاثروه فغلبوه : ألم أقل لكم من ذي قبل لا تمنعوا المساكين حقّهم، فهلاّ تسبّحون الله تعالى الآن تائبين[١٢] وتستغفرونه نادمين ، فعسى الله تعالى أن يتوب عليكم ويرحمكم . قالوا : سبحان الله الذي تنزّه عن الظّلم وعن كل قبيح[١٣] إنّا كنّا ظالمين لأنفسنا وللمساكين الّذين حرصنا على منعهم حقّهم الّذي فرضه الله تعالى علينا زكاة لثمر حديقتنا ، فأقبل بعضهم على بعضٍ يتلاومون ويتبادلون التُّهم . قالوا يا ويلنا إنّا كنّا طاغين باغين

---

(١) الجلالين .
(٢) تفسير الطّبري ٢٠/٢٩ .
(٣) المعجم الوسيط : " غدا " .
(٤) تفسر الطّبري ٢٠/٢٩ .
(٥) الجلالين .
(٦) تفسير الطّبري ٢٠/٢٩ .
(٧) الجلالين .
(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " حرد " ١٤٨/١ .
(٩) تفسير الطّبري ٢١/١٩ .
(١٠) الجلالين .
(١١) تفسير الطّبري ٢٢/٢٩ .
(١٢) الجلالين .
(١٣) الكشّاف ٢٥٩/٣ .

بالامتناع عن أداء الزّكاة الّتي فرضها الله تعالى علينا فغدت الحديقة بشجرها أثراً بعد عين . عسى ربّنا جلّ وعلا أن يُبْدِلنا جنّةً أخرى خيراً من جنّتنا السّابقة. إنّا إلى الله تعالى راغبون وآيبون ، ولذنوبنا مستغفرون ، ومنها تائبون .

في مثل ذلك العذاب الّذي أخذنا به أصحاب الجنّة يكون عذاب كفّار قريش وأمثالهم من الكافرين .

ولعذاب الآخرة أكبر من عذاب الدّنيا وأشدّ وأعظم . لو كان الكافرون يعلمون ذلك العذاب ويؤمنون بيوم القيامة ويعملون من أجل ذلك اليوم ما كذّبوا رسولنا وكتابنا ، وما عملوا بعمل أهل النّار .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٤١) ﴾

إنّ للمتّقين عند ربّهم في الآخرة جنّات النّعيم المقيم . أفنجعل المسلمين لله تعالى ربّ العالمين كالمجرمين الّذين اكتسبوا المآثم ، وركبوا المعاصي ، وخالفوا أمري ونهيي[1] ما الّذي جرى لكم أيّها الكافرون حتّى تحكموا هذا الحكم الفاسد[2] أم لكم كتابٌ نزل من عند الله أتاكم به رسولٌ من رسله فأنتم تدرسون فيه ما تقولون[3] وتقرأون[4] فيه : إنّ الله تعالى

(١) تفسير الطّبري ٢٣/٢٩ .

(٢) الجلالين .

(٣) تفسير الطّبري ٢٣/٢٩ .

(٤) الجلالين .

يسوّي يوم القيامة بين المسلمين والمجرمين، وإنّ لكم في هذا الكتاب لما تختارون[1] من الأمور لأنفسكم [2] والأحكام حسب أهوائكم . أم لكم عهودٌ منّا ومواثيق مؤكّدة [3] علينا ، بالغةٌ بتلك الأحكام إلى يوم القيامة، فنحن أقسمنا لكم[4] إنّ لكم ما تحكمون وتختارون وتشتهون من تلك الأحكام . سل يا محمّد هؤلاء المشركين أيهّم زعيمٌ وكفيلٌ وضامنٌ ومتكلّمٌ عن القوم بأنّ لهم علينا أيماناً بالغةً بحكمهم إلى يوم القيامة[5] أم لهم شركاء من الأصنام والأنداد[6] تقول بأنّ لهم علينا مواثيق مؤكّدة بهذا المعنى ، فليأتوا بها كي تدلي بأباطيلها ، إن كانوا صادقين فيما يقولون ويزعمون .

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) ﴾

اذكر[7] يوم يُكشف عن ساقٍ يوم القيامة ، دليل الأمر الشّديد[8] والهول الفظيع[9] ويُدْعى المشركون والمنافقون إلى السّجود فلا يستطيعون[10] لأنّ فَقار الظّهر

(١) الجلالين .
(٢) تفسير الطّبري ٢٣/٢٩ .
(٣) تفسير ابن كثير ٢٢٤/٨ وتفسير الطّبري ٢٣/٢٩ والجلالين .
(٤) الكشّاف ٢٦٠/٣ .
(٥) انظر تفسير الطّبري ٢٣/٢٩ .
(٦) تفسير ابن كثير ٢٢٤/٨٩ .
(٧) الجلالين .
(٨) تفسير الطّبري ٢٤/٢٩ .
(٩) تفسير الطّبري ٢٤/٢٩ .
(١٠) انظر تفسير ابن كثير ٢٢٥/٨ و ٢٢٦ .

تصير بإرادة الله فِقْرةً واحدة وعظمةً واحدة[1] ذليلةً أبصارهم لا يرفعونها[2] تغشاهم ذلّةٌ من عذاب الله تعالى [3] وقد كانوا في الحياة الدّنيا يُدْعون إلى السّجود وهم سالمون ، لا يمنعهم من ذلك مانع ، ولا يحول بينهم وبينه حائل . وقد قيل: السّجود في هذا الموضع الصّلاة المكتوبة[4] .

(١) انظر فتح الباري ٦٦٣/٨ حديث رقم ٤٩١٩ و٤٢١/١٣ حديث رقم ٧٤٣٩ ، وصحيح مسلم ١٦٨ حديث رقم ١٨٣ و ١٦٩ هامش رقم ١ .

(٢) الجلالين .

(٣) تفسير الطّبري ٢٧/٢٩ .

(٤) تفسير الطّبري ٢٧/٢٩ .

﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) ﴾

فدعني[١] يا محمّد ومن يكذّب بهذا الكتاب العزيز فإنّي سآخذه أخذ عزيزٍ مقتدر . إنّا سوف نأخذهم قليلاً قليلاً[٢] ونستدرجهم ونمكر بهم من حيث لا يشعرون ، وأمهلهم[٣] ، إنّ كيدي متين ، وأخذي أكيد ، وعذابي شديد .

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧) ﴾

أم أنّك يا محمّد تسأل قومك أجراً أرهقهم وألحق بهم الضّرر[٤] مقابل دعوتك لهم إلى صراط الله تعالى العزيز الحميد . ولكنّك يا محمّد لا تسألهم شيئاً أصلاً . أم أنّ عند المشركين شيئاً من علم الغيب كالبعث وأمور الآخرة فهم يحتفظون بذلك مكتوباً عندهم حتى يتمكنّوا يا محمّد من منازعتك ومغالبتك . إنّهم ليس عندهم شيءٌ من علم الغيب .

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) ﴾ .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٢٦/٨ .

(٢) الجلالين .

(٣) الجلالين .

(٤) انظر مفردات الرّأغب الأصفهاني : " غرم " ٤٦٦/٢ .

فاصبر يا محمّد لِحُكم ربّك في قومك بما يشاء وعلى أذاهم وزعمهم أنّك مجنون ، ولا تكن في نفاد الصّبر كصاحب الحوت وذي النّون بمعنى الحوت ، وهو يونس بن مّتَّى صلّى الله عليه وسلّم[١] إذ نادى ربّه عزّ وجلّ في بطن الحوت وهو مغموم[٢] لولا أن أدركه[٣] نعمةٌ من ربّه عزّ وجلّ فرحمه بها وتاب عليه من مغاضبته ربّه عزّ وجلّ[٤] وتركه قومه المصرّين على الكفر وركوبه السّفينة دون أمرٍ من ربّه عزّ وجلّ لَأُلْقِيَ وطُرِح لِقِلّةِ الاعتداد به[٥] بالفضاء من الأرض[٦] وهو مذموم ، ولكنّه رُحِمَ فَنُبِذ غير مذموم[٧] فاصطفاه الله تعالى واختاره لنبوّته[٨] فجعله من المرسلين العاملين بما أمرهم به ربّهم ، المنتهين عمّا نهاهم عنه[٩] .

﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٥٢) ﴾

وإنّ الّذين كفروا[١٠] لمّا سمعوا القرآن الكريم ترتّله يا محمّد ليكادون بباعث الحسد والبغض لك لولا وقاية الله لك وحمايته إيّاك منهم[١١] يرمونك بأبصارهم[١] وينظرون

(١) تفسير الطّبري ٢٨/٢٩ وتفسير ابن كثير ٢٢٦/٨ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/٢٩ وتفسير ابن كثير ٢٢٧/٨ .
(٣) الجلالين .
(٤) تفسير الطّبري ٢٩/٢٩ .
(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " نبذ " ٦٢١/٢ .
(٦) تفسير الطّبري ٢٩/٢٩ .
(٧) الجلالين .
(٨) تفسير الطّبري ٢٩/٢٩ .
(٩) تفسير الطّبري ٢٩/٢٩ .
(١٠) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٤١/١٣ .
(١١) تفسير ابن كثير ٢٢٧/٨ .

إليك نظراً شديداً يكاد يصرعك ويسقطك من مكانك[٢] ويقولون إنّه لمجنون . وما القرآن إلاّ ذكرٌ للعالمين ، وموعظةٌ للجنّ والإنس .

ويلاحظ أنّ الحقّ جلّ وعلا ينفي الجنون عن حبيبه صلّى الله عليه وسلّم في آخر السّورة الكريمة وأوّلها .

وقد أوحت المعاني المرتبطة بانتشار الشّرك في كلّ مكان قبل البعثة المحمّديّة بالقصيدة التّالية :

---

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٢٩ .

(٢) الجلالين .

القصيدة السّابعة (٦٤)بيتاً

البعثة المحمّديّة (من البسيط)

١- لَقَدْ أَتَى عن خَطيرِ الشَّرْكِ أنباءُ ... يَشِيبُ مِنْ هَوْلِها في الْمَهْدِ أَبْناءُ

٢- أَلَيْسَ في الأَرْضِ رُكْنٌ واحدٌ سَلِمَتْ ... به العَقيدةُ لم يَلْحَقْهُ إيذاء

٣- مَهْدُ العُروبَةِ حَيْثُ البَيْتُ شَيَّدَهُ ... أبو النَّبِيِّينَ قد نالَتْهُ أَرْزاء[١]

٤- أليس ذا البيتُ في التَّوْحِيدِ مَغْرِسُهُ ... فكيف هَبَّتْ على ذا البيتِ نَكْباء[٢]

٥- بِكُلَّ دارٍ بِمَهْدِ العُرْبِ داهيةٌ ... قِوامُها صَنَمُ للشَّرْكِ بَنّاء[٣]

٦- وقد أحاطَ بِبَيْتِ اللهِ آلهةٌ ... مَزْعُومةٌ حَسْبَ سُخْفِ القومِ شَوْهاء[٤]

٧- تَوارَثَ القَوْمُ أَصْناماً لَهُمْ عُبِدَتْ ... مِنْ عَهْدِ نُوحٍ وزادَ الجُرْحُ والدّاء[٥]

٨- وإن عَجِبْتَ فَمِنْ أَصْنامِهِمْ وَضَعُوا ... بِداخِلِ البَيْتِ ، بِئْسَ الفِعْلُ ما جاءوا

٩- أبو النَّبيِّينَ إبْراهِيمُ جاءَ بِها ... نَقِيَّةً لَيْلُها نُورٌ وأضْواء

١٠- فكيف عادَ بِها أبناؤُهُ سَفَهاً ... مَشُوبةً فكأنّ الصُّبْحَ إمْساء!

١١- قِدْماً هُمُ اْحَتَفظُوا مِنْ إرْثِ جَدّهمُ ... بما وَعاهُ مِنَ الحَقِّ الأَلِبّاء[٦]

١٢- فَلَيْتَ وَعْيَهُمُ كان ارتَقَى صُعُداً ... فكانَ مِنْهُمْ على التَّوْحِيد إبْقاء

١٣- وأيُّ فَخْرٍ لِمَجْدٍ قد نَمَا وسَمَا ... إذا يكونُ لِدِينِ اللهِ إقْصاء

١٤- أَيَخْدَعُ الُّلبَّ ألْواحٌ مُسنَّدةٌ ... تَرُوقُ عَيْناً وفي الأَعْماقِ أَدْواء[٧]

١٥- هُمْ يَعْلَمُونَ عن الدُّنْيا و زِينَتِها ... وعَيْنُهُمْ عن صَحِيحِ الدِّينِ عَمْياء

---

(١) الأرزاء جمع الرُّزء بمعنى المصيبة .

(٢) المغرس بفتح الميم وسكون الغين وكسر الرّاء : موضع الغرس . والنّكباء : ريحٌ انحرفت ووقعت بين ريحين .

(٣) قِوامها : عِمادها وما تقوم به .

(٤) الشّوهاء : القبيحة .

(٥) انظر الآية الكريمة الثّالثة والعشرين من سورة نوح .

(٦) الألبّاء جمع اللّبيب : وهو ذو اللّبّ والعقل .

(٧) الألواح المسنّدة : الخُشُب الممالة إلى الجدار وقد بَلِيَ داخلها وراق خارجها .

١٦- مَهْـدُ العُروبَـةِ هَـزَّ الشَّـرْكُ دَوْحَتَـهُ وعــاثَ في ســاحِهِ رِيــحٌ وأَنْــواء[١]

١٧- ولــيس يُــدرِكُ أبنــاءٌ لَــهُ خَطَــلاً وكيــف يُبْصِــر مــن أعمَتْــهُ ظَلْمــاء[٢]

١٨- بِكُــلَّ أَرْضٍ يَحُــلُّ العُــرْبُ ســاحَتَها نُصْــبٌ يَجِــيءُ ويَمْضِــى وَقْتَمَــا شــاءوا[٣]

١٩- ورُبَّمــا كانَــتِ الأَحْجــارُ مَعْدِنَــهُ ورُبَّمــا صــاغَهُ تَمْــرٌ وَحَلْــواء[٤]

٢٠- مــا أَعْظَــمَ التَّمْــرَ والحَلْــواءَ يَأكُلُهــا إذا يَجُــــوعُ أَبٌ والأُمُّ حَــــوَّاء

٢١- ورُبَّمــا فــاقَ نُصْــبٌ في الجَمــالِ أخــاً ضَــــرِيبَةُ القُــــبْحِ إذلالٌ وإجْــــلاء

٢٢- هــي الأَثافِي يكــونُ النُّصْــبُ ثالِثَهــا طَبِيعَــةُ القُــبحْ عنــد الفَحْــصِ سَــوْداء[٥]

٢٣- وعَــنْ قَرِيــبٍ جَمــالُ النُّصْــب يَهْجُــرُهُ وســــوف يَهْجُــــرُهُ حُــــبٌّ وإدْناء

٢٤-بِمَزْجَرِ الكَلْبِ يَلْقى النُّصْبُ مَوْضِعَهُ مَكانَــةُ الكَلْــبِ إقْصــاءٌ وإقْعــاء[٦]

٢٥- مَهْـدَ الْعُروَبةِ ماذا قد دهاك ضُحَى لا العُــرْبُ عُــرْبٌ ولا العَــرْباء عَــرْباء[٧]

٢٦-مكانُــكَ الــذَّيْلُ لكِــنْ لا غَنــاءَ بِــهِ وقــد يكــونُ لِــبَعْضِ الــذَّيْلِ إغْنــاء[٨]

٢٧- جَعَلْــتَ هَــمَّكَ في إنْشــادِ قافيــةٍ تُشَــنَّفُ الأُذْنَ لكــنْ ذاكَ إنْشــاء[٩]

٢٨- و كم تقومُ على الإنْشادِ رائعةٌ يَفْنَى الزَّمانُ وتَبْقَى وَهْي عَصْماء[١٠]

---

(١) الدَّوحة : الشجرة العظيمة المتشعَّبة ذات الفروع الممتدّة . وعاث : أفسد . والأنواء : الأمطار الشديدة والمفرد نَوْء .

(٢) الخَطل : الخطأ في الرّأي . قال الشاعر : أصالة الرّأي صانتني عن الخطل

(٣) النُّصْب : ما نُصِبَ وعُبدَ من دون الله تعالى .

(٤) المعدن : الموضع مصدر النُّصُب .

(٥) الأثافي جمع الأُثْفِيَّة : أحد الأحجار الثلاثة التي توضع عليها القدر .

(٦) المزجر : اسم مكان الزّجر . ومزجر الكلب : أي بتلك المنزلة . وأقعي الكلب : جلس على استه وبسط ذراعيه مفترشاً رجليه وناصباً يديه .

(٧) العَرَبُ العَرْباء : الصُّرَحاء الخُلَّص .

(٨) لاغَناء به : لا نفع فيه . والإغناء : النَّفع .

(٩) تشنّف الأذن : تُمْتِع الأذن .

(١٠) عصماء : فريدة عزيزة المنال .

٢٩- ولا تَقُــومُ علــى الإنْشــادِ مملكــةٌ وقــد يكــونُ مــع الإنشــادِ آلاء [١]

٣٠- عَرَفْـتَ يا شِـعْرُ هـذا الحْـقَّ مـن زَمَـنٍ مِـنْ قَبْـلِ بِعْثَـةِ طَـهَ وهْـيَ نَعْمـاء[٢]

٣١- كـذا عَرَفْـتَ وقـد أَسْـلَمْتَ أَحْمَـدَنا بُحـورَ شِـعرٍ ولكـنْ مـا بِهـا مـاء[٣]

٣٢- مـا قِيمَـةُ البَحْـرِ لا مـاءٌ ولا سَمَـكٌ ولا شِـــراعٌ ولا لِلْفُلْـــكِ إرْســـاء[٤]

٣٣- قَـدْ كـان أَحْمَـدُ يَهْـوَى العَـوْمَ في لُجَـجٍ يُصـارِعُ المـوجَ حيـث الـرِّيحُ هَوْجـاء[٥]

٣٤- وكـان يَسْـعَى إلى مُلْـكٍ علـى قَـدَمٍ لكنّهـــا قَـــدَمٌ يا شِـــعْرُ عَرْجـــاء

٣٥- إنّ الْمَمَالِـكَ تُبْـنَى وهْـي شـامِخَةٌ علـى أساسَـيْنِ : دِيـنٌ ثُمَّ قَعْسـاء[٦]

٣٦- ولـيس يُغْنيـك عِـزٌ دونَ مُعْتَقَـدٍ ولا اعتقـــادٌ إذا تُمْلِيـــهِ أَهْـــواء

٣٧- هـي العَقِيـدةُ كُـلُّ الخَـيْرِ تَحْمِلُـهُ ومـــا سِـــواها فَإضْـــلالٌ وإلْهـــاء

٣٨- أكـان لِلعُـرْبِ قَبْـلَ الـوَحْيِ مملكـةٌ وكيـــفَ ذاكَ وأُسُّ المُلْـــكِ إيحـــاء![٧]

٣٩- قـد كـان كـلٌّ يَـرَى في نَفْسِـهِ مَلِكـاً كـذا تَسـاوَى عِـدادُ العُـرْبِ والشّـاء[٨]

٤٠- فَمُنْتَهَـى الهَـمَّ مَرْعَـى الشّـاءِ يَحْكُمُـهُ أمّـا المَـدَى فَهُنـاكَ الكَلْـبُ عَـوَّاء[٩]

٤١- أَجَـالَ في ذَهْـنِ شَـهْمٍ مِـنْ فَوارِسِـهِمْ بأن يُضـافَ لِأَرْضِ العُـرْبِ أَنْحـاء[١٠]

---

(١) الآلاء : النِّعَم، واحدها ألًى ، وإلًى ، وإلْيٌ .

(٢) النَّعْماء : النَّعمة والخفض والدَّعة .

(٣) أحمد : المتنبّي شاعر العربيّة الأكبر .

(٤) الفُلك : السّفينة للمذكّر والمؤنّث والواحد والجمع .

(٥) الرّيح الهوجاء : العنيفة .

(٦) عِزّةٌ قعساء : ممتنعةٌ ثابتة .

(٧) الأُسّ : الأساس والإيحاء الوحي والإلهام .

(٨) فلانٌ في عِداد بني فلان : يُعَدّ منهم ، والشّاء جمع الشاة ، الواحدة مِنَ الضّأن والمعز والظّباء والبقر والنّعام وحمر الوحش .

(٩) المَدَى : المسافة . عوى الكلب : لَوَى خَطْمَه ثم صاح صياحاً ممدوداً ليسب بنباح ، فهو عاوٍ وعَوَّاء .

(١٠) الأنحاء : الجهات والمفرد النَّحْو .

٤٢- هُـمُ الخُـروجُ فُـرادَى في تِجـارَتِهِمْ وفي المَجاعَـةِ والأَهْـوالِ جَمْعـاء[١]

٤٣- إذا يُرِيـدونَ رَعْيـاً ثَمَّ أَرْضُـهُمُ كـذا القِتـالُ وهُـمْ فيـهِ الأَشِـدّاء[٢]

٤٤- هُـمُ السَّـعيدونَ في أَرْضٍ لَهُـمْ رَحُبَـتْ كَأَنَّهـا الكَـوْنُ قـد دارَتْ بـه هـاء[٣]

٤٥- سُـبْحانَ مَـنْ بَـدَّل الأَحْـوالَ في زَمَـنٍ كأنَّـه في لِسـانِ الطَّـرْفِ إيمـاء[٤]

٤٦- بِبِعْثَـةِ المصـطفى المختـارِ مِـنْ مُضَـرٍ قـد كـان لِلْعُـرْبِ أوصـافٌ وأَسْمـاء

٤٧- هُـمْ مَعْـدِنُ الـدِّينِ في أَصْـفَى سِـبائِكِهِ وهُـمْ أسـودُ الشَّـرَى واللَّيْـثُ مَضَّـاء[٥]

٤٨- وهـم منـارُ الهُـدَى والعِلْـمِ في وَرَعٍ وهُـمْ بِأَخْلاقِهِـمْ لِلـوَحْيِ قُـرّاء

٤٩-قد كانَتِ الأَرْضُ تُطْوَى تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ فَهَـلْ أَتاكَ عَـنِ الأَخْـلاقِ أَنْبـاء؟

٥٠- وَهَـلْ أَتاكَ بأَنَّ القَـوْمَ لـو ظَفِـروا يكـونُ مِـنْهُمْ عَـنِ العَـوْراتِ إِغْضـاء

٥١-لا يَرْفَـعُ المُسْـلِمُ الْمَنْصُـورُ ناظِـرهُ لِظـاهِرِ الـدُّورِ قـد زانَتْـهُ حَسْـناء

٥٢-هـل يَعْـرِفُ المُعْجَـمُ الحَـربِيُّ قَـبَلَهُمُ مَعْـنىً كهـذا غَـداةَ انْصـاعَ أَعْـداء ؟

٥٣-هُـمُ الهُـداةُ ومِـنْ أَسْمَـى عـزائِمِهِمْ أن يَحْصُـدوا الـدّاءَ إنّ العَـزْمَ أَعْبـاء

٥٤-وأيُّ داءٍ يَفُـوقُ الشَّـرْكَ تَحْصُـدُه كتائِـبُ الحَـقَّ تَمْشِـي وهْـي خَرْسـاء[٦]

٥٥-اللهُ بارِئُهُـمْ لِلخَيْـرَ وَفَّقَهُـمْ ما أَعْظَمَ الأَجْرَ حَقّاً هم بِهِ باءُوا [٧]

٥٦- قـد أَكْـرَمَ الله أَتْبـاعَ ابـنِ آمِنـةٍ فكـان مِـنْهُمْ لِمَغْـزَى الـدِّينِ إِدْناء[٨]

---

(١) جمعاء : جميعاً. مِنْ ألفاظ توكيد الشّمول للمؤنّث .

(٢) ثَمَّ : هنالك .

(٣) المراد الهاء المربوطة فكأنّها دائرة مغلقة دليل انغلاقهم .

(٤) الطَّرْف : العين والبصر وتحريك الجَفْن .

(٥) الشَّرَى : موضع كثير الأُسْد .

(٦) الكتيبة الخرساء : الرّزينة لا يُسْمَع لسلاحها قعقعة ولا لرجالها جَلَبة .

(٧) باء بالشيء : رجع به .

(٨) آمنة : أمّ النّبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم .

٥٧- هُمْ فَجَّرُوا طاقَةَ الأَقْوامِ قَدْ شُرِحَتْ صُدُرُوهُمْ فَلِدِين الله قد فاءُوا [١]

٥٨- قد بادَلَ القَوْمُ إحْساناً بِسابِقِهِ فكان منهم لِدِينِ اللهِ إرْساء

٥٩- وكان مِنْهُم بإخْلاصٍ وتَضْحِيَةٍ بِناءُ صَرْحِ فَخارٍ ما به ناءُوا [٢]

٦٠- سَمِعْتَ عن طارِقٍ مِنْ أُمَّةٍ كَرُمَتْ وطارِقُ الفَتْحِ حَرْفٌ ما لهُ باء[٣]

٦١-كذاك رائِحَةُ التُّفّاحِ مُذْعَبِقَتْ تَبَخْتَرَتْ فِيهِ أَفْعالٌ وأَسْماء[٤]

٦٢- وفي الْحَدِيثِ البُخارِي فاقَ جامِعُهُ هو الأَمِيرُ بِه التَفَّ الأَحِبّاء[٥]

٦٣- الله أَكْبَرُ هذا الْمَجْدُ شَيَّدهُ أتباعُ طهَ وهل لِلشَّمْسِ إخْفاء!

٦٤- بِحُبِّهِ وبِحُبِّ الوَحْيِ جاءَ بِهِ يُطْوَى الفضاءُ ويُطْوَى البَرُّ والماء

تمّت

فجر يوم الأحد ٦/١٠/١٤٢٤هـ

مكّة المكرّمة

---

(١) فاءوا : رجعوا .

(٢) ناء بِحمْله : نهض به مُثْقَلا .

(٣) طارق بن زياد فاتح الأندلس أصله من البربر .

(٤) المراد سيبويه إمام النّحاة مؤلّف الكتاب . ومعنى سيبويه في الفارسية رائحة التّفّاح .

(٥) أمير المؤمنين في الحديث هو الإمام البخاري الّذي وُلِدَ ببُخارَى وَدُفِنَ بالقرب من مدينة سمرقند .

﴿ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

جاء في سورة الأنعام[1] المكّيّة [2] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، وإذا جاءت هؤلاء الكافرين المجرمين حُجَّةٌ من الله على صحّة ما جاءهم محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم من عند الله وحقيقته[3] قالوا لن نؤمن لك ولن نصدّقك يا محمّد حتّى نؤتَى مثل الّذي أوتى رسل الله من الرّسالة والوحي[4] ومن المعجزات مثل الّذي أُعْطِيَ موسى من فلق البحر وعيسى من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص [5] الله سبحانه وتعالى أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه[6] ومحمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم هو الأهل لها والأصلح في علم الله تعالى فعلى عباد الله تعالى الخضوع لإرادته عزّ وجلّ والانقياد لمشيئته . سيصيب الّذين أجرموا وأصرّوا على الكفر ذِلَّةٌ وهوانٌ[7] من عنده جلّ وعلا ، وعذابٌ شديدٌ يوم يلقونه عزّ وجلّ ، بسبب ما كانوا يأتون من مكر ، ويرتكبون من كفر .

---

(١) الآية ١٢٤ .

(٢) الإتقان ٤٣/١ .

(٣) تفسير الطّبري ١٩/٨ .

(٤) الجلالين .

(٥) تفسير الطّبري ٢٠/٨ .

(٦) تفسير ابن كثير ٣٢٤/٣ .

(٧) تفسير الطّبري ٢٠/٨ .

وروى الإمام مسلم في صحيحه [1] قال : حدّثنا الأوزاعيّ عن أبي عمّار ، شدّاد،أنّه سمع واثِلَةَ بن الأَسْقع يقول : سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم يقول : إنّ الله اصطفى كنانة من وَلَدِ إسماعيل . واصطفى قريشاً من كِنانة . واصطفى من قريشٍ بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم .

والله سبحانه وتعالى نهى حبيبه صلّى الله عليه وسلّم عن أن تَشْقَى نَفْسُه بالإفراط في قيام اللّيل تطوّعا بعد أن أكرمه الله تعالى بإنزال القرآن الكريم عليه . جاء في سورة طه[2] المكّيّة [3]قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى (٣) ﴾

وقد اختلفت آراء العلماء بشأن القول : ﴿طه﴾ إنّ من العلماء من قال : الله أعلم بمراده بذلك ، ومنهم من ذهب إلى أن ﴿طه﴾ من جنس الحروف المقطّعة الّتي ابتدأت بها تسع وعشرون سورةً كريمة ، ومنهم من ذهب إلى أنّ ﴿طه﴾ من أسمائه صلّى الله عليه وسلّم . وفي ضوء الرّأي الأخير يكون معنى الآيات الكريمات ، والله تعالى أعلم : يا طه ما أنزلنا عليك القرآن الكريم لتشقى ولتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة اللّيل [4] لكن أنزلناه تذكرةً به[5] لِمَنْ يخشى الله تعالى ويخاف القيام بين يديه للحساب والجزاء . وجاء في سبب النّزول [6] أنّ القرآن الكريم لمّا نزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قام هو وأصحابه فصلّوا ، فقال كفّار قريش : ما أُنْزِل هذا القرآن على محمّدٍ إلاّ ليشقى به ، فأنزل الله تعالى الآيات الكريمات .

---

(١) ١٧٨٨/٤ حديث رقم ٢٢٧٦ .

(٢) الآيات ١-٣ .

(٣) الإتقان ٤٣/١ .

(٤) الجلالين .

(٥) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٨١/٨ .

(٦) أسباب النّزول ٣٥١ .

وقد نهى الحقّ جلّ وعلا حبيبه صلّى الله عليه وسلّم عن أن يقتل نفسه غمّاً لِأجل انصراف قومه المشركين عن دعوته عليه الصّلاة والسّلام . جاء في سورة الكهف[1] المكّيّة [2] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) ﴾

والمعنى، والله تعالى أعلم ، فعلّك يا محمّد قاتلٌ نفسك ومهلكها[3] غمّاً [4] على آثار قومك الّذين انصرفوا عن التّوحيد وأصرّوا على الشّرك ،والّذين لم يؤمنوا بهذا الكتاب العزيز الّذي أوحيته إليك ، من أجل الحزن[5] الّذي تمكنّ منك ، والهمّ الذي استبدّ بك . إنّ عليك يا محمّد البلاغ وَحْدَه .

وهذا المعنى، ذاته جاء في سورة الشعراء[6] المكّيّة[7] في قول الحقّ جل وعلا :

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) ﴾

والمعنى والله تعالى أعلم ، لعلّك يا محمّدٌ مهلكٌ نفسك غمّاً من عدم إيمان قومك[8] وإصرارهم على الشّرك . إنّ عليك أن تَرْفُق بنفسك وتُشْفِق عليها .

---

(١) الآية ٦ .

(٢) الإتقان ٤٣/١ .

(٣) تفسير الطّبري ١٢٩/١٥ .

(٤) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " بخع " ٤٨/١ .

(٥) انظر هنا الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١١٤/٨ .

(٦) الآية ٣ .

(٧) الإتقان ٤٣/١ .

(٨) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣١٧/٩ .

والله تعالى نعت محمّداً بأنّه على خُلُقٍ عظيم . جاء في سورة القلم [١] المكّيّة [٢] قول الحقَّ جل وعلا :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ(٤) ﴾

وروى الإمام مالك في الموطّأ [٣] أنّه قد بلغه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال:" بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الأخلاق " .

وهذا أبو ذرّ الغِفاريّ حينما علم ببعثة النّبيّ صلّى الله ليه وسلّم أرسل أخاه إلى وادي مكّة [٤] يسمع من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم : " فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله ثمّ رجع إلى أبي ذرّ فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق " [٥] .

والله سبحانه وتعالى رفع ذكر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم . جاء في سورة الشَّرْح [٦] المكّيّة [٧] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ(٤) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، ورفعنا لك ذِكْرك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم ، فلا أُذكَر إلاّ ذُكِرتَ معي ، وذلك قول : لا إله إلا الله ، محمّدٌ رسول الله [٨] .

والله سبحانه وتعالى تكفّل بإظهار دين الإسلام الّذي بعث به محمّداً صلّى الله عليه وسلّم على الدّين كِلّه ، وكفى الله تعالى شهيداً على ذلك ، ولو كره المشركون وَوُضِعَتْ

---

(١) الآية ٤ .

(٢) الإتقان ٤٢/١ .

(٣) ٩٠٤/٢ كتاب حسن الخلق حديث رقم ٨ .

(٤) فتح الباري ١٧٤/٧ .

(٥) فتح الباري ١٧٣/٧ حديث رقم ٣٨٦١ .

(٦) الآية ٤ .

(٧) الإتقان ٤٢/١ .

(٨) تفسير الطّبري ١٥٠/٣٠ .

أنوفهم في التّراب .

جاء في سورة الفتح[1] المدنيّة[2] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا(٢٨) ﴾

وهذا المعنى أكّدته سورة التّوبة المدنيّة [3] في الآية الكريمة الثّالثة والثّلاثين ، وسورة الصّفّ المدنيّة [4] في الآية الكريمة التّاسعة ، وهي ذات الآية الكريمة من سورة التّوبة .

قال عزّ من قائل :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ(٩) ﴾

وقد أوحت هذه المعاني بالقصيدة التّالية.

---

(١) الآية ٢٨ .

(٢) الإتقان ٤٣/١ .

(٣) الإتقان ٤٣/١ .

(٤) الإتقان ٤٣/١ .

القصيدة الثّامنة(٥٧) بيتاً
الدّعوة سـرّاً (من الكامل)

١- نادى المْلَيكُ حَبِيبَهُ الْمُتَدَثَّرا ... في ثَوْبِ نَوْمٍ أن يَقُومَ فيُنْذِرا
٢- هَبَّ الحبيبُ مُشمَّراً عن ساقِهِ ... وَنَفَى عن العينينِ لذّات الكَرى[١]
٣- ومَضَى إلى الأَحْبابِ يَدْعوهم ضُحَى ... سِرّاً لِدِين الله أو وَقْت السُّرَى
٤- قَدْ كان يَدْعُو في الخفاءِ لِشِرْعةٍ ... حَتّى اسْتَوَتْ ساقاً وأَصْلاً في الثَّرى
٥- الشَّرْكُ قد عَمَّ البِلادَ بأَسْرِها ... لم تَنْجُ ناحِيَةٌ ولا أمُّ القُرى
٦- ما أَضْخَمَ الأَعْمالَ نِيطَتْ بالهُدَى ... وأَعَزّ مَنْ لَبَّى النّداءَ وأكْبَرَا [٢]
٧- وأَذَلَّ مَنْ جَعَلَ العِنادَ رَكوبَهُ ... يَمْشِي به نَحْوَ الرَّدَى مُتَبَخْتِرا[٣]
٨- قد كان مِنْ أَتْباعِ أَحْمَدَ شِيمَةٌ ... لم تَرْضَ مِنْ تَقْواهُمُ غَيْرَ الذُّرَى[٤]
٩- ما أَسْعَدَ الأَفْرادَ قَدْ سَبَقُوا إلى ... دِينِ الْمليكِ فأحْرزوا قَصَبَ الوَرَى[٥]
١٠- وإذا تكونُ قليلةً أعْدادُهُم ... فَلِأنَّهُمْ فاقُوا البَرِيَّةَ جَوْهرا
١١- صِفَةُ الجواهِرِ أن تكونَ فرِيدةً ... ويَتِيمةً وأَعَزَّ مِنْ أُسْدِ الشَّرىَ[٦]
١٢-نَفْسي فِداءُ حَبِيبِ قَلْبِيَ إنّهُ ... بَذَلَ الكثيرَ وسَوْفَ يَبْذُلُ أَكثَرا
١٣- لو أنّ رَبَّ العَرْشِ لم يَعْصِمَهُ مِنْ ... أعدائِهِ لَمَضَى كأمْسٍ أَدْبَرا
١٤- اللهُ ربُّ العَرْشِ يَعْلَمُ جُنْدَهُ ... وأَشَدَّهُمْ عُوداً وأَطْيَبَ مَكْسِرا[٧]

---

(١) الكَرَى : النّوم .
(٢) نيطت الأعمال بالهُدَى : عُهِدَ بها إليه صلّى الله عليه وسلّم .
(٣) الرَّكوب : المركوب من الدّوابّ وغيرها . والتّبَخْتُر : التّمايل .
(٤) الشِّيمة : الخُلُق .
(٥) الوَرَى : الخَلْق .
(٦) الأُسْد جمع أسد . والشَّرَى : موضع كثير الأسود .
(٧) المَكْسِر : موضع الكسر مِنْ كلّ شيء . وفلانٌ طيّب المكسر : إذا كان محموداً عند الخبرة .

١٥- صَـلَّى عَلَيْـكَ اللهُ يا عَلَـمَ الهُـدَى ... وعليـك سَـلَّمَ مـا المُـؤَذَّنُ كَـبَّرَا

١٦- مِـنْ قَبْـلِ أن تُخْتـارَ نَجْمـاً للسُّـرَى ... أنـت الأَمِـينُ بأرضِ مَكَّـةَ والقُـرَى

١٧- أنت الصَّدوقُ لدى العِبادِ جميعِهِم ... وَلَأنْـتَ عِنْـدَ اللهِ أَصْـدقُ بالْحَـرَا[1]

١٨- مَـنْ كـانَ يَصْـدُقُ خِلَّـهُ في فِعْلِـهِ ... فَلَسَـوْفَ يَصْـدُقُ ربَّـهُ إنْ أخـبرا

١٩- لم يَنْطِـق المختـارُ يَوْمـاً عَـنْ هَـوَى ... لكنّـه وُحَـيٌ إليـهِ قـد جَـرَى

٢٠- اللهُ أَعْلَـمُ حيـث يَجْعَـلُ وَحْيَـهُ ... ويَخُـصُّ بالْفَضْـلِ العَظِـيمِ الأَخْـيراَ

٢١- ما أَثْقَلَ الأَحْمالَ قد وُضِعَتْ على ... ظَهْـرِ الحَبِيـبِ محمّـدٍ خَـيْرِ الـوَرَى

٢٢- اللّيْـلَ يَقْضِـي في الصّـلاةِ مُشَـمَّرا ... وسَـحابةَ اليـوم الوضِـيءِ مُبَشَّـرا

٢٣- لم يُنْـزِلِ الـرّحمنُ آياتِ الهُـدَى ... مِـنْ أَجْـلِ أن يَشْـقَى الحبيـبُ فَيَسْـهَراَ

٢٤- مِـنْ طُول مـا قـد قـامَ طَـهَ بالـدُّجَى ... قـد كـادّتِ القَـدَمانِ أن تَتَفَطَّـرا

٢٥- ولقـد نَهَـاهُ الحـقُّ أن يَشْـقَى بمـا ... أَوْحَـى إليـه مبشَّـراً أو مُنْـذِرا

٢٦- أو أن يَمُـوتَ لِفَـرْطِ حُـزْنٍ غمَّـهُ ... مِـنْ نَـوْمِ مَـنْ يَـدْعُو وقـد حُمِـدَ السُّـرَى

٢٧- يكفيـك يا طـه الـبَلاغُ تَيَسَّـرا ... واللهُ يكفيـكَ العَـدُوَّ تَجَـبَّرَا

٢٨- مـاذا لقيـتَ مَـنَ العَـدُوِّ وحِـزْبِهِ ... في بَطْـنِ مَكَّـةَ والعَـدُوُّ تَنَمَّـرا

٢٩- خَـذَلُوكَ بـل آذَوْك بَـلْ حرَصُـوا على ... أن يَقْتُلـوك حَمِيَّـةً وتكـبُّرَا

٣٠- جُـلُّ النَّقـائِصِ قـد تَفَشَّـتْ فـيهِمُ ... وأَشَـدُّهم نَقْصـاً علـى الله اْفتَـرَى

٣١- أيـن التَّجـارِبُ والمُـروءةُ والنُّهـى ... أيـن الحُلـومُ وقـد أَبَـتْ أن تَحْضُـرا

٣٢- أمكـارِمَ الأَخْـلاقِ قـد بُعِـثَ الهُـدَى ... لِيُـتِمَّ مـا غَـرَسَ الهُـداةُ فـأثمرا

٣٣- مـا بالُ رَوْضِ رُباكِ مـاتَ نَباتُـهُ ... وغـدا الهَشِـيمَ بكُـلِّ عَـيْنٍ يُـزْدَرَى

---

(١) بالحَرَا : مِنْ باب الأَحْرَى والأَوْلى .

٣٤- لم يَبْـقَ مِـنْ تلـك المكـارِمِ قَبْلَـهُ إلاَ الّـتي قـد صـادَفَتْ عَقْـلاً وَرَى[١]

٣٥- أو صـادفَتْ نَفْساً تَتُوقُ إلى الهُدَى الـدَّرْبُ حَيَّـرَ والـدّليلُ تَحَـيَّرا

٣٦-رانَـتْ علـى تلـك المكـارِمِ غَيْمَـةٌ لمّـا أتـى طَـهَ اسـتحالَتْ أَنْهُـرا

٣٧ - أَيَشُـكُّ ذو عَقْـلٍ بأنّ محمّـداً رَفَـعَ الإلـهُ بـه المكـارِمَ للـذُّرَى

٣٨- مِـنْ أَيْـنَ للـدُّنْيا المكـارِمُ والهُـدَى لـولا الّـذي نادَى الإلـهُ فَشَـمَّرا

٣٩- مِـنْ عَهْـدِ آدَمَ للمكـارِمِ لَـذَّةٌ حَـتّى يَـرَى في الخَلْـقِ ربُّـكَ مـا يَـرَى

٤٠- اللهُ قـد جَمَـعَ المكـارِمَ كُلَّهـا في شَـخْصِ أَحْمَـدَ ذاك بَـدْرٌ نَـوَّرا

٤١- أَجْـرَى علـى شَـفَتَيْهِ آياتِ الهُـدَى فَمَشَـى الهُـدَى ولقـد تَهَـادَى كَـوْثَرا[٢]

٤٢- عَـبَّ الأَنامُ مِـنَ المكـارِمِ إنّهـا عـادَتْ بهـم عَبْـرَ القُـرونِ القَهْقَـرَى[٣]

٤٣- في مَوْكِـبِ الرُّسْـلِ الكـرامِ تَنـاثَرَتْ زَهَراتُهـا إنّ المكـارِمَ تُشْـتَرَى

٤٤- تلـك المكـارِمُ قُـدَّمَتْ لِمُحمَّـدٍ وَحْيـاً مـن الـرّحمنِ يَأْتِي أَسْـطُرا

٤٥- مَلَـك القلُـوبَ إذا يُرَتّـلُ آيـةً إنْ أَمَّ صَـفّاً أو تَسَـنَّمَ مِنْـبرا

٤٦- وجوامِـعُ الكَلِـمِ البَلِيـغِ تَعَرَّضَـتْ لِبَيانِـهِ فاختـار منهـا الجَـوْهَرا[٤]

٤٧- اللهُ قـد جَعَـلَ الحبيـبَ محمّـداً مِـنْ بَـيْنِ رُسْـلِ الله بَـدْراً نيِّـرا

٤٨- قـد خَصَّـهُ في شَخْصِـهِ وبوَصـفِهِ بجَميـلِ آيـاتٍ تؤكِّـدُ مَخْبَـرا

٤٩- ذاك الغَضَـنْفَرُ حـين يَزْحَـفُ جَيْشُـهُ الرُّعْـبُ يَسْـبِقُهُ فَيَبْلُـغُ قيصـرا[٥]

---

(١) وَرَى العقل : أتَّقَد واشتعل كالزَّند والنّار .

(٢) تَهادَى : تمايل وتثنَّى وتبختر .

(٣) عَبَّ الماء : شَربه بلا تنفُّسٍ ومصّ . القهقري : الرّجوع إلى الخلف .

(٤) الكَلِم : جمع الكَلِمة .

(٥) الغضنفر : الأسَد الغليظ الجثّة .

٥٠- في يَـــوْمِ مؤتَـــةَ دَاهَمتْـــك طَلِيعَـــةٌ قد أدَّبَتكَ وأَدَّبَـــتْ " وادي القُـرَى "[١]

٥١- أمّـــا تَبُـــوكُ فكنـــتَ هِـــرّاً وَقْتَهَـــا في غَـيْرِ يَـوْمِ الجِـدَّ كُنْـتَ القَسْـوَرا[٢]

٥٢- مـاذا أَقُـولُ عَـنِ النُّعُـوتِ تتابَعَـتْ وتكـــاثَرَتْ حـــتّى اســـتحالَتْ أَبْحُـــرُا

٥٣- أَوَلَـيْسَ يَكْفِـي أن يكـونَ مـؤذِّنٌ في كُـــلَّ بَيْـــتٍ لِـــلأَذانِ تَطَهَّـــرا !

٥٤- قَـرَنَ الإلـهُ اسْـمَ الحبيـبِ إلى اسمِـهِ نادى المـــؤذِّنُ أو أقـــامَ فكـــبَّرا[٣]

٥٥- شَـــهِدَ الإلـــهُ بأنّ دِيـــنَ محمّـــدٍ دِيـــنُ الهُـــدَى ويكـــون دينـــاً أَظْهَـــرَا

٥٦- حَيْـثُ الصَّـباحُ مـع المسـاءِ تعاقَبـا دِيـــنُ المهـــيْمِنِ كـــلَّ فَـــجٍّ عَطّـــرا

٥٧- مَـنْ شـاءَ خَـيْراً عـاجلاً أو آجـلاً الصَّيْدُ كُـلُّ الصَّـيدِ في جَـوْف الفَـرَا[٤]

تمّت

مساء يوم السّبت ١٤٢٤/١٠/١٩هـ

مكّة المكرّمة

---

(١) غزوة مؤتة في شهر جمادى الأولى سنة ثمانٍ من الهجرة . جنوب شرقيّ البحر الميّت . ووادي القرى : بين المدينة والشّام .

(٢) القَسْور : الأسد .

(٣) أقام : أي أقام الصّلاة .

(٤) الفَرَا : حمار الوحش . وفي المثَلَ : كلّ الصَيدِ في جَوْف الفَرَا .

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾

أمر الله رسوله صلّى الله عليه وسلّم بأن يَجْهرَ بالدّعوة وأن يُعرِض عن المشركين . جاء في سورة الحِجْر[١] المكّيّة [٢] قولُ الحقّ جلّ وعلا :

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، فاصدع يا محمّد بما تؤمر به ، واجهر به وأمضه[٣] ، وأعرض عن المشركين ولا تلتفت إليهم ، ولا تأبه لهم . عن عبد الله بن مسعود ، ما زال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مستخفياً حتّى نزلت هذه الآية الكريمة فخرج هو وأصحابه[٤].

والله سبحانه وتعالى أمر حبيبه صلّى الله عليه وسلّم بأن يصفح عن المشركين الصّفح الجميل ، وذلك قبل الأمر بقتال المشركين . جاء في سورة الحِجْر[٥] قولُ الحقَّ جلّ وعلا :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، وما خلقنا السّماواتِ السَّبْعَ والأرضين السَّبعَ وما بينهما إلاّ بالحقّ ومِنْ أَجْلِ إحقاق الحقّ . وإنّ السّاعة لآتيةٌ لا ريب فيها ، وإنّ يوم القيامة قادمٌ لا شكّ فيه ، فاصفح يا محمّد عن المشركين المجرمين الصّفح الجميل إلى أن يقضي الله تعالى فيهم أمراً كان مفعولاً ، وأقبل يا محمّد عليهم بصَفْحة وجهك وجانبه ، وأعرض عن ذنبهم[٦] وليكن صفحك عنهم صفحاً جميلاً ، بشاشة وجه ولطف قول .

---

(١) الآية ٩٤ .

(٢) الإتقان ٤٣/١ .

(٣) الجلالين وتفسير ابن كثير ٤٦٩/٤ وتفسير الطّبري ٤٧/١٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤٦٩/٤ وتفسير الطّبري ٤٧/١٤ .

(٥) الآية ٨٥ .

(٦) انظر هنا مفردات الرّاغب الأصفهاني ٣٧٠/٢ .

والله سبحانه وتعالى بيّن لحبيبه صلّى الله عليه وسلّم بأنّه عزّ وجلّ سَيُلْقِي عليه قولاً ثقيلاً . جاء في سورة المزّمّل [1] المكّيّة[2] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا(٥) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، إنّا سَنُلْقِي عليك يا محمّد قولاً ثقيلاً العمل به[3] شديداً لما فيه من التّكاليف [4] الشاقّة .

والله سبحانه وتعالى أوحى إلى حبيبه صلّى الله عليه وسلّم بأن يتّبع ملّة إبراهيم عليه السّلام أبي الأنبياء حنيفاً وما كان عليه السّلام من المشركين . جاء في سورة النّحل[5] المكّيّة [6] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(١٢٣) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، ثمّ أوحينا إليك يا محمّد أن اتّبع ملّة إبراهيم عليه السّلام حنيفاً مائلاً عن الشّرك إلى التّوحيد قَصْداً وعَمْداً [7] وما كان إبراهيم عليه السّلام من المشركين بل من الموحّدين .

ولحرف العطف : ﴿ثمّ﴾ الّذي يدلّ على التّرتيب مع التّراخي أساساً دورُهُ البليغُ في الآية الكريمة . فالمعروف أنّ الفترة الزّمنيّة بين إبراهيم عليه السّلام وبين عيسى عليه

---

(١) الآية ٥ .

(٢) الإتقان ٤٢/١ .

(٣) تفسير الطبري ٨٠/٢٩ .

(٤) الجلالين .

(٥) الآية ١٢٣ .

(٦) الإتقان ٤٣/١ .

(٧) انظر هنا – مثلاً – مفردات الراغب الأصفهاني " حنف " ١٧٦/١ .

السّلام زهاء ألفٍ وثمانمائة عام[1] يضاف إلى ذلك زهاء ستّمائة عام بين عيسى عليه السّلام وبين محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم . لقد أوحى الله تعالى إلى محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم بأن يتّبع دين إبراهيم عليه السّلام أبي الأنبياء وزعيم أولي العزم من الرّسل .

وكفّار مكّة يزعمون أنّهم إنّما يعبدون الأصنام ويشركونها مع الله تعالى في العبادة كي تقرّبهم إلى الله تعالى زُلْفى ، وترفعهم منزلة . جاء في سورة الزُّمَر[2] المكّيّة[3] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ(٣) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، ألا لله تعالى وحده دون سواه الدِّينُ الخالصُ من الشّرك، والعبادةُ والطّاعةُ خالصةً لا شِرْك لأَحدٍ معه فيها[4] والّذين اتّخذوا من دون الله تعالى أولياء مثل كفّار مكّة ومن شاكلهم يقولون[5] ما نعبد هذه الأصنام والأوثان والأنصاب إلاّ ليقّربونا إلى الله تعالى زُلْفَى وقُرْبا[6] منزلةً وحُظوة[7] وذلك أنّهم ذهبوا إلى أنّ الملائكة بناتُ الله تعالى : ﴿ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [8] ووفق

(١) انظر هنا – مثلاً – القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، موريس بوكاي ص٥٠ دار المعارف ١٩٧٩م .

(٢) الآية ٣ .

(٣) الإتقان ٤٣/١ .

(٤) تفسير الطّبري ١٢٢/٢٣ .

(٥) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢١/١١ وتفسير الطّبري ١٢٢/٢٣ .

(٦) تفسير الطبري ١٢٣/٢٣ .

(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني:((زلف)) ٢٨٣/١ وتفسير الطّبري ١٢٣/٢٣ .

(٨) سورة الكهف (٥) .

تصوّرهم السَّقيم للملائكة وتخيّلهم العقيم لهم عَمِلُوا الأصنام على تلك الصّور حسب زعمهم وعبدوها . إنّ كفاّر مكّة عَمَدوا إلى أصنامٍ اتّخذوها على صور الملائكة المقرّبين في زعمهم ، فعبدوا تلك الصُّور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ، ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدّنيا . فأمّا المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به[1] .

إنّ الله سبحانه وتعالى سوف يحكم يوم القيامة بين المؤمنين والكافرين فيما هم فيه يختلفون في الدّنيا من أمور الدَّين . إنّ الله سبحانه وتعالى لا يهدي إلى الصّراط المستقيم من هو كاذبٌ يفتري على الله تعالى الكذب ، شديد الكفر والجحود لربوبّيته جلّ وعلا .

وقد أوحت هذه المعاني بالقصيدة التّالية .

---

(١) تفسير ابن كثير ٧/٧٥ .

القصيدة التّاسعة(٥٦) بيتاً

الدّعوة جهراً (من الوافر)

١- إلــهُ الْعَــرشِ قــد أَمَــرَ الرَّسُــولا بأنَ يَتَــدرَّعَ الصَّــبْرَ الجمــيلا[١]

٢- ويُبْــدِيَ مِــنْ كَــرِيمِ الوَجْــهِ صَــفْحاً يكــونُ علــى مَــدَى حِلْــمٍ دلــيلاً[٢]

٣- ويُعْلِــنَ فِي العَشِــيرَةِ أنّ دينــاً بِتَوْحيــدِ المَلِيــكِ غــدا بَــديلا

٤-هــو الــدَّينُ المبــارَكُ كــانَ أَوْحَــى بــه الْمَــوْلَى وخَــصَّ بِــهِ الخَلــيلا[٣]

٥- معــالِمُ هَدْيِــه هَبَّــتْ عليهــا أَعاصِــيرُ الهَــوَى فَغَــدت طُلــولا[٤]

٦- وتَوْحيــدُ المهــيمِنِ صــارَ ذِكْــرَى جُيــوشُ الشَّــرْكِ طــارَدَتِ الفُلــولا[٥]

٧- عَجِيــبٌ أَمْــرُ هــذا الشَّــرْكِ تَبْــدُو تَفاهَتُــهُ ويَقْــوَى أن يَصُــولا![٦]

٨- وأيُّ ضَــحِيَّةٍ للشَّــرْكِ حَــتَّى وَجَــدْتَ الأرضَ قــد مُلِئَــتْ عَــوِيلا[٧]

٩- هــو التَّوحِيــدُ قــد أرادهُ شِــرْكٌ بِحَــقٍّ كــان ذا خَطْبــاً جَلــيلا[٨]

١٠- ومَــنْ يَقْــوَى بِإذْنِ اللهِ يَبْــنِي صُــرُوحاً للعَقِيــدةِ لــن تَــزُولا[٩]

١١-أبــو الزَّهْــراءِ خــاتَمُ رُسْــلِ ربّي هــو المختــارُ مــن يَشْــفِي الغَلــيلا[١٠]

---

(١) أن يتدرع الصبر: أن يلبسه كالِّدرع بمعنى القميص والثّوب .

(٢) الصّفح : العفو وإبداء ظاهر الوجه دليل العفو .

(٣) الخليل : إبراهيم عليه السّلام .

(٤) الطّلول جمع الطَّلل : وهو ما بقى شاخصاً من آثار الديار ونحوها .

(٥) الفلول جمع الفَلّ بفتح الفاء بمعنى المنهزم .

(٦) يصول : يسطو على خصمه ليقهره .

(٧) العويل : رفع الصوت بالصّياح والبكاء .

(٨) أرداه : أسقطه وأهلكه . والخطب : الأمر الشّديد .

(٩) الصُّروح: جمع الصَّرْح بمعنى القصر العالي .

(١٠) الغليل : شدّة العطش وحرارته .

١٢- و مَـنْ يَقْـوَى علـى حِـمْلٍ ثقيـلٍ يَفُـوقُ الطّـوْدَ إن عَـرْضاً وطُـولا[١]

١٣- إلــهُ العَــرْشِ سَــدَّدَ دَرْبَ طــهَ وأَعْطـــاهُ المحبَّـــةَ والقَبـــولا[٢]

١٤- وأيَّـــــدَهُ بآيٍ بيِّنـــــاتٍ تُبَصِّـــرُهُ وتهـــد يـــهِ السَّـــبيلا

١٥- وقَـــوَّاهُ بأَصْـــحابٍ كِـــرامٍ يَعُـــدُّون الشّـــهادَةَ سَلْسَـــبيلا[٣]

١٦- إذا رَضِـيَ المهـيمِنُ عنـك فـانْعَمْ فَكُـلُّ صُـعُوبَةٍ تُلْفَـى ذَلـولا[٤]

١٧- وكيــف يكــونُ عونُــكَ يا إلهــي لِمَـــنْ حَمَّلْتَـــهُ حِمْـــلاً ثَقِـــيلا ؟

١٨- إلى الثّقَلْـينِ قـد أَرْسَـلْتَ طـهَ وكـان لِـواؤهُ الظِّـلَّ الظَّلـيلا[٥]

١٩- وقـد أَخْرَجْـتَ بالمختـارِ طـهَ مِـن الظُّلُمـاتِ لِلنُّـورِ القَبـيلا[٦]

٢٠- عَبَـدْتَ الواحِـدَ القَيُّـومَ سِـرّاً وقُمْـتَ اللَّيـلَ قـد أَرْخَـى السُّـدُولا[٧]

٢١- دَعـاكَ الواحـدُ الهـادِي بِلُطْـفٍ لِنَفْسِـك عـن هَـلاكٍ أن تَحُـولا

٢٢- إلــهُ العَــرْشِ قــد أَوْحَــى كِتــاباً لِيَخْشَـــى اللهَ مَـــنْ تَبِـــع الرَّسُـــولا

٢٣- ولـيس لإجْـلِ أن تَشْـقَى وتَبْقـى تُقِـيمُ اللَّيـلَ موصـولاً طَـوِيلا

٢٤- إمـامَ العابِـدينَ فَـدَتْكَ روحـي وإن كـان الّـذي أُعْطِـى ضَـئِيلا

٢٥-سـوادَ اللَّيـل تَقْضِـى في قِيـامٍ تُسَـبِّحُ رَبَّـكَ الأَحَـدَ الجَلـيَ ِلا

---

(١) الطّود : الجبل العظيم الذّاهب صُعُداً في الجوّ . والمعنى : إن كان عَرْضاً أو طولا .

(٢) القَبول : الرّضا بالشّيء ومَيْل النّفس إليه .

(٣) السَّلسبيل : الشّراب السَّهْلُ المرور في الحلق لعذوبته .

(٤) الذَّلول : السَّهل الانقياد .

(٥) الثَّقلان : الجنّ والإنس . والظّلّ الظّليل : الدّائم . والظّليل ذو الظّلّ . والظّلّ ضوء شعاع الشمس إذا استترتْ عنك بحاجز .

(٦) القبيل : الجيل والجماعة والأتباع .

(٧) القيّوم : القائم الحافظ لكلّ شيء . وهو اسمٌ من أسماء الله تعالى الحُسْنَى . والسّدول : السّتور والمفرد السُّدْل والسَّدْل .

٢٦- وفي ضَـوْءِ النَّهـارِ دَعَـوْتَ جَهْـراً لِـــدينِ اللهِ مَـــنْ فَقَـــدُوا العُقُـــولاً
٢٧- بِــذا أَمَــرَ الإلــهُ فَقُلْــتَ سَمْعــاً وكـــانَ اللهُ حافِظَـــكَ الـــوَكيلا
٢٨- تمــادَى غَيُّهُــمْ واشْــتَدَّ حُمْــقٌ لقــد بَلَــغَ الــزُّبَى وعــدا المَسِــيلا[١]
٢٩- إذا عَبَــدُوا المليــكَ أَتَــوْا لِنُصْــبٍ بِحَسْــبِ الــزَّعْمِ يَــرْفَعُهُمْ قَلِــيلا[٢]
٣٠- يُقَـــرِّبُهُمْ إلى الـــرّحمنُ زُلْفـــىَ كــذا زَعَمُــوا ومــا يُغْــنِي فتــيلا[٣]
٣١- هُــمُ وَرِثُــوا الضَّــلالة عــن جُــدودٍ وَباءُ الشَّــركِ قــد أَمْسَــى وَبِــيلا[٤]
٣٢- ومِـــنْ عَجـــبٍ يـــرونَهُمُ هُـــداةً وقــد وَرِثُــوا الهُــدى جِــيلاً فَجِــيلا!
٣٣- ومـــا فَطِنـــوا بأنَّهُـــمُ جُنـــاةٌ وأنَّ عَمَــى البَصــيرةِ عــادَ غُــولا[٥]
٣٤- وأنّ بِطـــاحَ مكّـــةَ والـــرَّوابِي وكــلَّ شِــعابِها قــد صِــرْنَ غِــيلا[٦]
٣٥- عَجِيـــبٌ أَمْـــرُكُمْ تَرْجُــون أَمْنــاً ورأسُ الشَّـــــرْكِ يَأْبَى أن يمـــــيلا
٣٦- وأَيْــنَ الشَّــرْكُ قــد أَلْقَــى عَصَــاهُ ويَــرْفُضُ أن يَــزُولَ وأن يَحُــولا ؟
٣٧- أَمــامَ البَيْــتِ أَوَّلَ بَيْــتِ قُــدْسٍ علــى التَّوحِيــدِ قــد أَرْسَــى الأُصــولا[٧]
٣٨- دعــا المختــارُ للتَّوْحِيــدِ جَهْــراً فقــال المشــركون دَعُــوا الجَهــولا!
٣٩- سَـــيَأْخُذُ ثأرَهُ هُبَـــلٌ وَعُـــزَّى أَيَعْــرِفُ مــا تَعَمَّــدَ أن يقــولا ؟
٤٠- يكــونُ أصــابَهُ سِــحْرٌ فَــأَلْغى قـــواهُ فَعـــادَ أقواهـــا هَـــزِيلا !
٤١- وهــل هــذا الّــذي قــد قــال شِــعْرٌ وسِـــحْرٌ أم جُنـــونٌ صِـــيغَ قـــيلا !

---

(١) الزُّبى جمع زُبية ، وهي حُفْرةٌ في موضع عال تُغَطّى ، فإذا وطئها الأسد وقع فيها ، وعدا : تجاوز .
(٢) النُّصْب : ما نُصِب وعُبِد من دون الله تعالى .
(٣) الزُّلفى : القُرْبى والمنَزلة . والفتيل : الخيط المفتول في شَقّ النّواة . أي ما يُغْني شيئاً .
(٤) الوبيل : الشّديد .
(٥) الغول : كلّ ما أخذ الإنسان من حيث لا يدري فأهلكه .
(٦) الغيل : موضع الأُسْد .
(٧) القُدْس : الطُّهْر .

٤٢- تَحَمَّـــلَ أحمـــدُ المختـــارُ ســـيلاً ... مـــن الآلام قـــد فـــاق السُّـــيولا

٤٣- بَـــلاءُ القـــومِ لم يَقْنَـــعْ بِقَـــوْلٍ ... ولكـــن قَـــدَّم الفِعـــل الـــرَّذِيلا [١]

٤٤- إذا ضـــاقَتْ بأحْمَـــدَ كُـــلُّ أرضٍ ... ففـي السَّـبْعِ الـطَّـباقِ رأى بـديلا[٢]

٤٥- رأى بِعُرُوجِـــهِ حَشْـــداً كبـــيراً ... مـــن الآياتِ حَيَّـــرَتِ العُقُـــولا

٤٦- كـذا شَـرَحَ الإلـهُ صـدورَ قَـوْمٍ ... لِبَـــذْل الـــرُّوحِ يَحْمُـــونَ الرَّســـولا

٤٧- هـم الأَنْصـارُ قـد أَعْطَـوْهُ عَهْـداً ... بـــذاك إذا أَتَـــى فـــيهِمْ نَـــزِيلا

٤٨- لقـد جُـنَّ الأَعـادِي مِـنْ قُـرَيْشٍ ... وعَـــدُّوا ذلـــك الخَطَـــرَ الأصـــيلا

٤٩- وَهُـمْ قد ضاعفوا من ظُلْمِ صَحْبٍ ... كِـــرامٍ ذَنْـــبُهُمْ عَبَـــدوا الجَلِـــيلا

٥٠- لقـــد مَنَعُـــوهُمُ مِـــنْ أن يَفِـــرُّوا ... بـــدِينِهِمُ الّـــذي قـــد كـــان نِـــيلا

٥١- مَخافَـــةَ أن يُغَطّـــيَ دِيـــنُ طـــهَ ... نِجـــاداً في المدينـــة أو سُـــهُولا[٣]

٥٢- لقـد مَكَـرُوا بِطـهَ قَصْـدَ أَسْـرٍ ... وطَـــرْدٍ أو يُـــرَى فـــيهِمْ قَتِـــيلا

٥٣- إذا كـــان الأَقـــارِبُ أَخْرَجُـــوهُ ... ولَمْ يَـــكُ رَدُّ أكثـــرِهِمْ جمـــيلا

٥٤- فقـد وَكَـلَ الإلـهُ بِـدِينِ طـهَ ... إلى الأنصـــارِ مـــاعَرَفوا نُكـــولا[٤]

٥٥- كـــذا فَرِحـــوا بِإِخْـــوانٍ كِـــرامٍ ... هُـــمُ حَلُّـــوا بِأَرْضِـــهِمُ حُلـــولا

٥٦- بِأَنْفُسِـــهِمْ وأَهْلـــيهِمْ وجـــاهٍ ... ومـــالٍ هُـــمْ بَنَـــوْا مَجْـــداً أثِـــيلا[٥]

تمّت

يوم السّبت ١٤٢٤/١١/٤هـ

مكّة المكرّمة

---

(١) الرّذيل : الرّديء من كلّ شيء .

(٢) الطَّباق : طبقة فوق طبقة .

(٣) النّجاد جمع النّجد ، وهو ما ارتفع من الأرض وصَلُب .

(٤) وَكَلَ إليه الأمر : سَلَّمه . نُكولا : انصرافا ونكوصا .

(٥) أثيلاً : أصيلا .

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

إنّ رسالة محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم عالميّةٌ منذ فجرها . وقد جاء النّصّ على هذه العالميّة في عددٍ من السّور المكّية . جاء في سورة الأعراف[1] المكّيّة[2] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، قل يا محمّد يا أيّها النّاس ، وفيهم اليهود والنّصارى ، إنّي رسول الله تعالى إليكم جميعاً . إنّه الله تعالى الّذي له ملك السّماوات والأرض ومن فيهنّ وما فيهن . لا إله إلاّ هو وحده دون سواه . يُحْيِي من يريد إحياءه ، ويميت من يريد إماتته . فآمنوا أيّها النّاس بالله تعالى وبرسوله محمّد صلّى الله عليه وسلّم ، النّبيّ الأمّيّ ، الّذي يؤمن بالله تعالى ربّاً ، وبكلماته عزّ وجلّ وَحْياً في هيئة القرآن الكريم الّذي تبيّنه سنّته صلّى الله عليه وسلّم ، واتّبعوه اتّباعا مطلقاً لعلّكم تهتدون إلى سواء السبيل .

رَوَى الإمام مسلم في صحيحه[3] عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : فُضِّلْتُ على الأنبياء بستّ : أُعْطِيتُ جوامع الكلم[4] ونُصِرْتُ بالرُّعْب . وأُحِلّتْ لي الغنائم . وجُعِلَتْ لي الأرضُ طَهوراً ومسجداً . وأُرْسِلْتُ إلى الخلق كافّة . وخُتِمَ بي النّبيّون .

---

(١) الآية ١٥٨ .

(٢) الإتقان ٤٢/١ .

(٣) ٣٧١/١ حديث رقم ٥٢٣ .

(٤) جوامع الكلام : الكلم القليل اللفظ الكثير المعاني .

ورَوَى الإمام مسلم في صحيحه[1] عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال : والّذي نفسُ محمّد بيده لا يسمع بي أَحَدٌ من هذه الأمّة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثمّ يموت ولم يؤمِنْ بالّذي أُرْسلْتُ به إلاّ كان من أصحاب النّار .

ولقد لفت ضياء الدّين بن الأثير في المثل السائر[2] الانتباه إلى الالتفات في الآية الكريمة : " فإنّه إنّما قال : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله ﴾ ولم يقل : فآمنوا بالله وبي ، عطفاً على قوله : ﴿ إنّي رسول الله إليكم ﴾ لكي تجري عليه الصّفاتُ التي أُجرِيتْ عليه ، ولنعلم أنّ الّذي وجب الإيمان به والاتّباع له هو هذا الشّخص الموصوف بأنّه النّبيّ الّذي يؤمن بالله وبكلماته كائناً من كان ، أنا أو غيري ، إظهاراً للنَّصَفة ، وبُعْداً من التّعصُّب لِنَفسه " .

وجاء في سورة الفرقان [3] المكّيّة [4] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، تمجّد وتعظّم وتعالى ذو المجد والعظمة والتعالي ، وهذه صفات ذات . أو زاد خير الله تعالى وتكاثر عطاؤه ، وهذه صفات فعل[5] تمجّد وتكاثر خير الله تعالى وزادت بركته عزّ وجلّ الّذي نزّل القرآن الكريم وكرّر إنزال الفرقان[6] الّذي يَفْرُق بين الحقّ والباطل ، والهُدى والضّلال ، والغيّ والرّشاد ، والحلال والحرام [7] على

---

(١) ١/٣٤ حديث رقم ٢٤٠ .

(٢) ٢/١٩٢ .

(٣) الآية ١ .

(٤) الإتقان ١/٤٣ .

(٥) انظر البحر المحيط ٦/٤٨٠ والكشاف ٢/٣٩٩ .

(٦) انظر تفسير ابن كثير ٦/١٠٠ .

(٧) تفسير ابن كثير ٦/١٠٠ .

عبده محمّد صلّى الله عليه وسلّم[١] لقد وَصَفَ الله تعالى محمّداً صلّى الله عليه وسلّم بصفة المدح والثّناء ، وهي صفة العبوديّة ، في هذا المقام الشّريف ، وفي مقامين شريفين آخرين هما الإسراء[٢] والدّعوة إليه عزّ وجلّ في الصّلاة[٣] ليكون محمّد صلّى الله عليه وسلّم للعالمين ، لجميع الجنّ والإنس الّذين بعثه الله إليهم[٤] منذراً ينذرهم عقابه ، ويخوّفهم عذابه ، إن لم يوحّدوه ولم يخلصوا له العبادة ويخلعوا كلّ ما دونه من الآلهة والأوثان[٥] .

وجاء في سورة سبأ[٦] المكّيّة [٧] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، وما أرسلناك يا محمّد إلاّ للنّاس أجمعين ، العرب منهم والعجم ، والأحمر والأسود[٨] وكافّة : حال من النّاس منصوبة[٩] قدّم للاهتمام[١٠] مبشّراً ومنذراً ، ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون فهم مُعْرِضون .

---

(١) تفسير الطبّري ١٣٦/١٨ .

(٢) سورة الإسراء ١ .

(٣) سورة الجنّ ١٩ .

(٤) تفسير الطّبري ١٣٦/١٨ .

(٥) تفسير الطبّري ١٣٦/١٨ .

(٦) الآية ٢٨ .

(٧) الإتقان ٤٣/١ .

(٨) تفسير الطبري ٦٦/٢٢ .

(٩) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣١١/١٠ .

(١٠) الجلالين .

وقد أنزل الحقّ جل وعلا سورة المسد المكّيّة[1] في عَدُوَّيْنِ لَدُودَيْن للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم هما عمّه أبو لهب ، وزوجه أمّ جميل الشّديدة العداوة للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كزوجها أبي لهب . قال عزّ من قائل :

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، خَسِرَتْ يدا أبي لهبٍ وخسر هو[2] وتحقّق خسارته وهلاكه[3] وأبو لهب هو ابن عبد المطلب واسمه عبد العُزَّى[4] وكُنّي أبا لهب لأنّ وجهه كان يتلهّب حُسْناً وإشراقاً وحُمْرة [5] وجاء في سبب النّزول في صحيح البخاري[6] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال : لمّا نزلت[7] ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ورهطك منهم المخلَصين[8] خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتّى صَعِد الصَّفا فهتف : يا صباحاه فقالوا : من هذا ؟ فاجتمعوا إليه فقال : أرأيتم إن أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج من سَفْح هذا الجبل أكنتم مصدّقي ؟ قالوا : ما جرّبنا عليك كذباً . قال : فإنّي نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد . قال أبو لهب : تبّاً لك ، ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثمّ قام . فنزلت السّورة الكريمة .

ما دفع عنه ماله مِنْ سَخَط الله عليه [9] وما كسب من ولد[1] سيدخل ناراً ذات

---

(١) الإتقان ٤٢/١ .

(٢) تفسير الطّبري ٢١٧/٣٠ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٣٥/٨ .

(٤) فتح الباري ٧٣٧/٨ .

(٥) انظر فتح الباري ٧٣٧/٨ .

(٦) فتح الباري ٧٣٧/٨ حديث رقم ٤٩٧١ .

(٧) سورة الشعراء ٢١٤ .

(٨) انظر بشأن هذه الزيادة . فتح الباري ٥٠٢/٨ في التعليق على الآية الكريمة ٢١٤ من سورة الشعراء .

(٩) تفسير الطبري ٢١٨/٣٠ .

لهب واضطرام[٢] وإحراق شديد[٣] وستدخل معه زوجه أمّ جميل[٤] أَذُمُّ [٥] حمّالة الحطب التي كانت تضع الشَّوك في طريق النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليؤذيه ويؤذي أصحابه رضوان الله تعالى عليهم في طريقهم إلى الصّلاة[٦] وسيكون في عنقها حبلٌ من ليفٍ[٧] في نار جهنّم . وكأنّ هذا الحبل في مقابل الحبل الّذي كانت تربط به الحطب ذا الشّوك في الدّنيا .

قال العلماء : وفي هذه السّورة معجزةٌ ظاهرة ودليلٌ واضحٌ على النّبوّة ، فإنّه منذ نزل قوله تعالى : ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب . وامرأته حمّالة الحطب . في جيدها حبلٌ من مسد ﴾ فأخبر عنهما بالشّقاء وعدم الإيمان ، لم يُقَيَّضْ لهما أن يؤمنا ، ولا واحدٌ منهما لا ظاهراً ولا باطناً ، لا مُسِرّاً ولا مُعْلِنا . فكان هذا من أقوى الأدِلَّةِ الباهرة على النّبوّة الظاهرة[٨] .

وأُمُّ جميلٍ هذه حمّالة الحطب هي المرأة الّتي جاءت الإشارة إليها بمناسبة نزول سورة: "الضُّحى " جاء في صحيح البخاري[٩] عن جُندب بن سفيان رضي الله عنه قال : اشتكى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً ، فجاءت امرأةٌ فقالت : يا محمّد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، ولم أره قَرِبَك[١٠] منذ ليلتين أو ثلاثاً ،فأنزل الله

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٣٥/٨ .

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " لهب " ٥٨٦/٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٣٥/٨ .

(٤) تفسير ابن كثير ٥٣٥/٨ .

(٥) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣٥٨/١٣ .

(٦) تفسير الطّبري ٢١٩/٣٠ .

(٧) لسان العرب : " مسد " .

(٨) تفسير ابن كثير ٥٣٧/٨ .

(٩) فتح الباري ٧١٠/٨ حديث رقم ٤٩٥ .

(١٠) قربك : بكسر الرّاء يقال قربه يَقْرَبه بفتح الرّاء متعدّيا فتح ٧١٠/٨ .

عزّ وجلّ سورة الضحى المكيّة[١] قال عز من قائل :

﴿ وَالضُّحَىٰ(١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ(٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ(٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ(٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ(٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ(٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ(٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ(٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ(٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ(١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ(١١) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم : أُقْسِمُ أنا الحقّ جلّ وعلا بالضّحى ، أي النّهار كلّه [٢] إذا امتد وقوي ضوؤه واشتدّ ، وباللّيل إذا لفّ الكونَ بظلامِهِ وبسكونه[٣] ما تركك يا محمّد ربّك وما أبغضك [٤] ولَلْآخرة عند ربّك خيرٌ لك من الحياة الأولى ولسوف يعطيك يا محمّد ربّك في الآخرة من فواضل نعمه حتّى ترضى[٥] ألم يجدك ربّك يتيماً بعد وفاة والدك وأنت في بطن أمّك فجعل لك مأوَى تأوي إليه ، ومنزلاً تنزله[٦] ووجدك غير مهتدٍ لما سيق إليك من النّبوّة [٧] فهداك ، ووجدك فقيراً فأغناك [٨] فأمّا اليتيم فلا تظلمه فتذهب بحقّه استضعافاً منك له[٩] وأمّا السّائل فلا تنهره ولكن أطعمه واقض له حاجته[١٠] وأمّا بنعمة ربّك فحدّث وقم بما يجب عليك من شكرٍ لله تعالى عليها .

---

(١) الإتقان ٤٢/١ .

(٢) تفسير الطبري ١٤٧/٣٠.

(٣) انظر تفسير الطّبري ١٤٧/٣٠ ولسان العرب : " سجا " ومعانى القرآن للفرّاء ٢٧٣/٣ .

(٤) تفسير الطّبري ١٤٧/٣٠ .

(٥) تفسير الطّبري ١٤٩/٣٠ .

(٦) تفسير الطّبري ١٤٩/٣٠ .

(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " ضل " ٣٨٨/٢ .

(٨) تفسير الطّبري ١٤٩/٣٠ .

(٩) تفسير الطّبري ١٤٩/٣٠ .

(١٠) تفسير الطّبري ١٤٩/٣٠ .

وقد أمر الله تعالى محمّداً صلّى الله عليه وسلّم أن يخفض جناحه للمؤمنين . جاء في سورة الحجر[1] المكّيّة [2] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، لا تمدّنّ يا محمّد عينيك إلى ما متّعنا به أولئك المشركين من زوجات ، ولا تحزن عليهم بسبب إعراضهم عنك وعدم إيمانهم بك ، واخفض جناحك للمؤمنين وألن جانبك لهم . وقل على رءوس الأشهاد : إنّي لكم أيّها النّاس نذيرٌ بيّن الإنذار بين يدي عذابٍ شديد .

وجاء في سورة الشّعراء[3] المكّيّة [4] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، وأنذر يا محمد أهلك الأقربين وقومك الأَدْنَيْن[5] وهم بنو هاشم وبنو المطّلب وقد أنذرهم جِهارا . رواه البخاري ومسلم[6] واخفض جناحك يا محمّد

---

(١) الآية ٨٨/٨٩ .

(٢) الإتقان ٤٣/١ .

(٣) الآيات ٢١٤-٢٢٠ .

(٤) الإتقان ٤٣/١ .

(٥) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : " عشر " ٤٣٦/٢ .

(٦) الجلالين وانظر تفسير ابن كثير ١٧٦/٦ فما بعدها .

لمن اتبّعك من المؤمنين عموماً . فإن عصوك فقل لهم إنّي برئ ممّا تعملون من ذنوبٍ وآثام . وتوكّل يا محمّد على الله تعالى العزيز في ملكه ، الرّحيم بخلقه . الّذي يراك حين تقوم إلى الصّلاة[1] ويرى تصرّفك [2] وتقلّبك مع السّاجدين في صلاتهم معك حين تقوم معهم وتركع وتسجد[3] إنّه عزّ وجلّ هو السّميع لكلّ صوتٍ وقول ، العليم بكل نيّةٍ وفعل .

وقد تتابعت الآيات الكريمات الّتي فيها إنذارٌ شديدٌ للمشركين . ومن هذه الآيات الكريمات قولُ الحقّ جلّ وعلا في سورة مريم[4] المكّيّة [5] :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، ألم تر يا محمّد أنّا أرسلنا الشّياطين على الكافرين فتحرّكهم تحريكاً شديداً بالإغواء والإضلال فتزعجهم إلى ارتكاب المعاصي وتغويهم حتّى يواقعوها[6] فلا تعجل عليهم يا محمّد ولا تستعجل لهم العذاب ، إنّما نَعُدُّ أعمالهم كلّها ونُحْصِيها حتّى أنفاسهم نجازيهم على جميعها[7] يوم القيامة . وفي ذلك اليوم نحن نحشر المتّقين إلينا رُكْبانا[8] ونسوق المجرمين إلى جهنّم عِطاشا[9] .

---

(١) تفسير ابن كثير ١٨٢/٦ .

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " قلب " ٥٣٢/٢ .

(٣) تفسير الطّبري ٧٧/١٩ .

(٤) الآيات ٨٣-٨٦ .

(٥) الإتقان ٤٣/١ .

(٦) انظر تفسير الطبري ٩٤/١٦ .

(٧) تفسير الطّبري ٩٥/١٦ .

(٨) تفسير الطّبري ٩٦/١٦ .

(٩) تفسير الطّبري ٩٦/١٦ .

والمشركون كالأنعام بل هم أضّل . جاء في سورة الأعراف[1] المكّيّة [2] قول الحقَّ جلّ وعلا :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ(١٧٩) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، ولقد خلقنا وجعلنا لجهنّم [3] كثيراً من الجنّ والإنس ، لهم قلوبٌ ولكن لا يفقهون بها ولا يميّزون الخطأ من الصّواب ، ولهم أعينٌ ، ولكن لا يعرفون بها الطّريق الصّحيح من الطّريق غير الصّحيح ، ولهم آذانٌ ، ولكن تقف عند السّماع المجرّد ولا تتقدّم إلى السّماع الواعي ، أولئك كالأنعام بل هم أضلّ ، لأنّ الأنعام تميّز بغريزتها بين الخطر والأمن ، وهم يصرّون على الخطر والخطأ. أولئك هم الغافلون حقّاً عن كلّ ما ينفعهم بسبب عمى البصيرة المتمكّن منهم والسَّفه المستبدّ بهم .

وكان تخويف الآيات الكريمات المشركين من عذاب يوم القيامة موصولاً . ومن ذلك ما جاء في آيات سورة عبس[4] المكّيّة [5] قال عزّ من قائل :

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ(٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ(٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ(٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ(٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ(٣٧) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، فإذا جاءت يوم القيامة النّفخة الثانية[6] والصّيحة الّتي

---

(١) الآية ١٧٩ .

(٢) الإتقان ٤٢/١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥١٤/٣ وتفسير الطّبري ٨٩/٩ .

(٤) الآيات ٣٣-٣٧ .

(٥) الإتقان ٤٢/١ .

(٦) الجلالين .

تَصُخُّ الأسماع أي تبالغ في إسماعها حتّى تكاد تصمّها [١] في ذلك اليوم يفرّ المرء من أخيه ، وأمّه ، وأبيه ، وزوجته الّتي كانت زوجته في الدّنيا [٢] وبنيه ، لكلّ امرئٍ يوم القيامة إذا جاءت الصّاخّة [٣] أمرٌ يغنيه ويشغله عن شأن غيره[٤] .

وجاء في سورة المعارج [٥] المكّيّة [٦] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، يُبَصِّرُ اللهُ تعالى النّاسَ يوم القيامة بعضهم ببعض ، فيعرف كلُّ إنسانٍ قريبه [٧] ثمّ يفرّ بعضهم من بعض[٨] ويودّ المجرم المشرك لو يفتدي نفسه من عذاب يوم القيامة ببنيه ، وزوجته ، وأخيه ، وعشيرته[٩] الّتي كانت تَحْتَضِنُه وتَضُمُّه إليها[١٠] وبكلّ من في الأرض ثمّ ينجيه ذلك الافتداء من عذاب يوم القيامة وهيهات .

والله تعالى يأمر عباده بأن يدعوه بأسمائه الحسنى ، ويأمر حبيبه صلّى الله عليه وسلّم

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٤٨/٨ .
(٢) تفسير الطّبري ٣٩/٣٠ .
(٣) تفسير الطّبري ٣٩/٣٠ .
(٤) تفسير الطّبري ٣٩/٣٠ .
(٥) الآيات ١١-١٤ .
(٦) الإتقان ٤٣/١ .
(٧) تفسير الطّبري ٤٦/٢٩ .
(٨) تفسير الطّبري ٤٦/٢٩ .
(٩) تفسير الطّبري ٤٧/٢٩ .
(١٠) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : " أوى " ٤٣/١ وتفسير الطّبري ٤٧/٢٩ .

حينما يقرأ القرآن الكريم في مكّة أن يكون صوته وسطاً . جاء في سورة الإسراء[1] المكّيّة[2] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١١٠) ﴾

والمعنى والله تعالى أعلم ، قل يا محمّد لمشركي قومك الّذين أنكروا عليه صلّى الله عليه وسلّم أن يقول في سجوده : يا رحمن يا رحيم [3] : قولوا يا ألله أو قولوا يا رحمن ، وادعوا الله تعالى بِأيٍّ من أسمائه الحُسْنَى وصفاته العُلَى .

والمعروف أنّ لله تعالى تسعةً وتسعين اسماً ، مائةً إلاّ واحداً ، من أحصاها دخل الجنّة[4] والمعروف كذلك أنّ لله تعالى اسماً واحداً هو لفظ الجلالة : الله ، عظيم الأسماء . أما بقّية الأسماء فصفاتٌ لله تعالى الواحد الأحد . وعظيم هذه الصّفات الرّحمن . وبذلك تكون آية سورة الإسراء قد ذكرت كلاًّ من عظيم الأسماء وعظيم الصّفات[5] وتنهى الآية الكريمة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن أن يجهر بقراءته القرآن الكريم فيسمع المشركون فيسبّوا القرآن الكريم ، وعن أن يخافت بالقراءة عن أصحابه فلا يسمعهم القرآن الكريم حتّى يأخذوه عنه ، وتأمره بأن ينهج الطّريق الوسط في القراءة وبالتّالي يتّقي أذى المشركين ، ويسمع المؤمنون القرآن الكريم يرتّله صلّى الله عليه وسلّم ترتيلاً[6] .

وقد أوحت هذه المعاني بالقصيدة التالية .

---

(١) الآية ١١٠ .

(٢) الإتقان ٤٣/١ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ١٢٦/٥ وتفسير الطّبري ١٢١/١٥ وأسباب النزول للواحدي النيسابوري ٣٤١ .

(٤) انظر – مثلاً – فتح الباري ٢١٤/١١ حديث رقم ٦٤١٠ وصحيح مسلم ٢٠٦٣/٤ . حديث رقم ٢٦٧٧ .

(٥) درسنا الآية الكريمة في التفسير البسيط ٢٠٣/١٥ ، و٢٠٤ .

(٦) انظر هنا تفسير ابن كثير ١٢٦/٥ .